الخلفاء الراشدون

تأليف

الشيخ / سراج الرحمن الندوي القاضي
مدير الجامعة الإسلامية في ممباسا - كينيا

تقريض

أ.د / عبد العزيز إبراهيم العمري

دار الكوثر أستراليا
للنشر والتوزيع

ⓒ دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاضي، سراج الرحمن الندوي

الخلفاء الراشدون/ سراج الرحمن الندوي القاضي - الرياض ١٤٣٠هـ

١٩٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ١-١-٩٤٩٣-٩٩٦٠

١- الخلفاء الراشدون أ- العنوان

ديوي ٩٥٣,٠٢ ١٤٣٠/٢٣٥٧

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٢٣٥٧

ردمك: ١-١-٩٤٩٣-٩٩٦٠

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٩١٤٧٧٦ ٩٦٦١١ +

٤٩٦٨٩٩٤ ٩٦٦١١ +

فاكس: ٤٤٥٣٢٠٣ ٩٦٦١١ +

Dar Kounouz Eshbelia

For Publishing & Distribution

Kingdom of Saudia Arabia

P.O. Box 27261 Riyadh 11417

Tel.: +96611 4914776

+96611 4968994

Fax.: +966114453203

E-mail eshbelia@hotmail.com

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

تقديم الكتاب

بقلم : محمد الرابع الحسني الندوي

الرئيس العام لندوة العلماء ، لكنؤ (الهند)

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على خاتم المرسلين محمد و على آله و صحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن التاريخ من أهم علوم الاجتماع و منه يقتبس الإنسان ما يزين به حياته و يهذبها و يبنيها على خير الأسس ، و هو يطلعه على تجارب الأولين و على سيرهم و آدابهم ، و ما توصلوا إليه من المعرفة و العلم و الآداب ، فلابد أن تعرف الأجيال الصاعدة ما وقع لأسلافهم ، و ما قاموا به من جهود و طرق في سبيل حياة أحسن و أفضل .

و بناءاً على دلك لابد أن نعلّم أبناءنا و تلاميذنا ما يفيدهم من معرفة التاريخ ، و إن تاريخنا الإسلامي يبتدئ من سيدنا آدم ، و يمر من سيدنا نوح إلى سيدنا إبراهيم خليل الله عليهم صلوات الله و سلامه ، و من سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه و على آله وسلم .

و إن هـــذا التاريخ في أدواره المتقدمة على دور سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لم يصل إلينا مفصلاً و جازماً ، و إنمـــا وصل إلينا بقدر من الجزم و التفصيل منذ ظهور رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، و ذلك بمـــا رواه المسلمون الصادقون منذ ذلك العهد ، و سجل في كتب مختلفة ألفها العلماء من أسلافنا رحمهم الله و رضي عنهم .

و يمكننا أن نستفيد من هذه الكتب حسبما نفتقر إليه أو نريد معرفته ، و لكن هـــذه الكتب إنما ألفها أسلافنا بلغتهم العربية ذات طابع عهدهم ، فربمـــا يفتقـــر لفهمها اليوم شبابنا و الناشئة من جيلنا الجـــديد فهماً جيداً إلى تسهيل أسلوبها لهم ، فمست الحاجـــة إلى وضع كتب سهلة في الأسلوب حتى يستفيد منها ناشئتنا الشباب و الأطفال فهماً جيداً . عرف ذلك و قام بأداء الـــواجب نحـــوه عـــدد من أصحـــاب العقول النـــيرة و الكتابـــة في الأسلوب السهل مع اختيار ما هو مفيد ، و ما فيه زاد طريف لمن يريـــد من الشباب التزود منه و معرفة ماضيه و ماضي أمته الكريمة ، و ما واجهته من أحـــوال من ازدهـــار و انهيار حتى يستعينوا بـــذلك في حل قضايـــاهم و أداء ور لائق بمكانتهم .

فألف علماؤنا هؤلاء و أعـــدوا كتباً مفيدة ، منها ما هي لجمهور من المسلمـــين ، و منها ما هـــي لطلبة المـــدارس الإســـلامية ، و راعـــوا في ذلك الأسلوب الـــذي يتفق مع مـــدارك مخاطبيهم و مؤهـــلاتهم الأدبية و العلمية ، و منهم أخونا الكـــريم الشيخ ســـراج الرحمن الندوي القاضي مدير الجامعة الإسلامية في ممباسا بدولة كينيا ، أفريقيا ، و كان ألف قبل هذا كتاباً في سيرة خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ،

و كتب له سماحـــة أستاذنا و شيخنا السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى مقدمة زادت من قيمة الكتاب . و هو يقـــدم الآن كتاباً يليه في ســـيرة الخلفاء الـــراشـــدين الذين هم تلاميذ رسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه الكـــرام الذين رضي الله عنهم و رضوا عنه ، فهم الأسوة و القـــدوة بعـــد رسول الله صلى الله عليه و سلم لـــكل مسلم ، فيجب على كل مسلم أن يعـــرف صفاتهـــم و أعمال حياتهم ليتخـــذها أسوة له ، و اتخـــذ الأخ في هـــذا الكتاب نفس الأسلوب الـــذي كان قـــد اختاره في الكتاب السابق ســـيرة الـــرســـول صلى الله عليه وسلم ، و فيه تسهيل و تيسير و موافقة لمستوى الشباب طلاب العلم ، و بـــذلك قام الأخ بعمل جليل مفيد ، فإن العهـــد النبوي الشريف و عهـــد خلفائـــه الراشـــدين هما درة في تاج الإســـلام و تاريخـــه و مصـــدر حياة الفضيلـــة و الخـــير و منبع عـــز المسلمين و مدنيتهم الـــزاهـــرة . العهد الذي يجب أن نكون مرتبطين فكرياً و عاطفياً به ، و هو العهـــد الإســـلامي الأول حتى نستلهم منه منهـــج حياتنـــا ، و نقتبس من ســـير أقطابـــه و أعـــلامـــه تعليمات و إرشادات تنفعنا في بناء سيرتنا و أخلاقنا ، و أن جيلنا الصاعـــد هو أحق من يجب أن نعتـــني بتربيته على هـــذه الأخـــلاق ليكون بناء شخصيتهم علـــى الســـيرة المثالية فيكـــونـــوا أكفـــاء لأداء دور نـــرجـــو منهـــم في مستقبل الأمة الإسلامية الآتي .

و أرى أن كتاباً يصف ذلك العهد الكريم وصفاً أميناً و بأسلوب جيد و موافـــق لمستوى الناشئة الإســـلامية سيملأ فـــراغـــاً في المنهج المطلوب للتاريخ الإسلامي للناشئة و الطلاب ، و سيكون له بإذن الله نفع ظاهر .

و الشيخ سـراج الرحمن الندوي القاضي مؤلف هـذا الكتاب من نخبة الخريجـين من نـدوة العلماء ، و قـد درس في الجامعة الإسلامية بمدينة الرسول عليه الصـلاة و التسليم ، و تزود منها بزاد علمي إسلامي مفيد ، و ازدان بسيرة إسلامية نبيلة ، و عمله هذا سيزيد إن شاء الله تعالى في صالح أعماله ، أدعو الله تعالى له بالقبول و الله ولي التوفيق و الجزاء .

١٤٢٢/٢/٧هـ — محمد الرابع الحسني الندوي

٢٠٠١/٥/٢ م — الرئيس العام لندوة العلماء ، لكنؤ (الهند)

تقريـظ الكتاب

بقلم أ.د. عبدالعزيز بن إبراهيم العمري

الحمـد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى حملة دعوته إلى يوم الدين وبعد:

فـلا يخفـى على أحد مكانة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: تلاميذه وجنده وحملة رسالته إلى الناس كافة، فتحوا البلاد وتعلقت بهم قلوب العباد.

أثـروا على العالم بما أحدثوه من تغيير ديني وأخلاقي وسياسي، وتنظيم حضاري، بقي أثرهم على مر العصور إلى يومنا الحاضر في كافة أنحاء الأرض، فما أحوجنا أن نقرأ تاريخ عصرهم ونصرهم، لنشد عزائمنا ونرفع معنوياتنا ولنعود بـعون الله مـرة أخـرى لهدي الـعالم إلى رب الـعالمين وعبادتهم الله ،ولنوصـل رحمـة الله ودينه الحق إلى عباده تأسياً بالراشدين الذين قادوا أمتهم وسادوا في الأرض، حيث كان عصرهم عصر التوحيد والوحدة، عصر سيادة شرع الله، وإدارة العالم وتنظيمه وتربيته على الحق، عصر زهاق الباطل وانحسار الظلام.

ذاك عصـر رجـال رباهم الرسول صلى الله عليه وسلم فحققوا للعـالم ما لم يحققه أحد قبلهم ولا بعدهم، (أخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد)، فاتحوا عصرهم بالجهاد والعمل والعلم وانتشار الإسلام في أراض كـثيرة: في العـراق والشـام، وفي فـارس ومصر، وفي بلاد العرب

وإفريقيا، وفي غيرها من أرض الله الواسعة، حيث أداروا دولتهم بالعدل وحصنوها من الظلم، وأعطوا للناس حقوقهم وللضعفاء نصيبهم، نشروا دين الله الحق بلا إكراه لأحد.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا (الخلفاء الراشدون) عالج أحداثاً خطيرة وجسيمة، وبطريقة سليمة، بعيداً عن تشويه الصورة أو تجاهل الحقيقة، تحدث عن شخصيات الخلفاء وإنجازات عصرهم بإيجاز غير مخل، كما تحدث عن حوادث عصرهم الأخيرة واستشهادهم بطريقة علمية تحفظ حقوقهم ونظرتنا لعصرهم ومعاصريهم . نسأل الله لكاتبه السداد والتوفيق، ومؤلفه: هو فضيلة الشيخ سراج الرحمن الندوي القاضي، خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عرفته قبل ما يزيد على خمس عشرة سنة من الدعاة المربين حاملي لواء التعليم الإسلامي في شرق إفريقيا ولا يزال كذلك، من خير من عرفنا من العاملين للإسلام في تلك الديار، نسأل الله له الثبات والتوفيق والسداد، وأن يقيه شر الأشرار وأن ينفعه بهذا الكتاب وبكل ما كتب ويكتب، وأن ينفع قارئ الكتاب، والله وحده المستعان وعليه التكلان.

أ. د. عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري
أستاذ التاريخ الإسلامي
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض
الخميس ١٤٢٤/٩/٢٥هـ مكة المكرمة

كلمة المؤلِّف

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و كفى بالله شهيداً ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن محمداً عبده و رسوله صلى الله عليه و على آله و صحبه و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين و بعد .

لقد اشتغلت في تدريس مادة السيرة النبوية / التاريخ الإسلامي بعد تخرجي من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٨٥هـ ، و وصولي إلى يوغنده عام ١٣٨٦هـ مبعوثاً من قبل دار الإفتاء و الإشراف على الشؤون الدينية (وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف و الدعوة و الإرشاد بالمملكة العربية السعودية) و كنت أملي على طلبة المرحلة الثانوية ما كنت أعدّه في هذا الموضوع ، و لما تمّ نقلي من يوغنده إلى كينيا عام ١٣٩٩هـ ضاعت هذه المسوّدة . ثم بدأتها من جديد بعد عدة سنوات ، و الحمد لله طبع أول كتاب لي في هذا الموضوع باسم " المصطفى " صلى الله عليه وسلم (مختصر السيرة النبوية) عام ١٤١٣هـ ، و قد ترجم الكتاب إلى اللغة السواحلية و طبع ، ذلك أن اللغة السواحلية لغة المسلمين في شرق أفريقيا و لا يوجد بها كتاب في السيرة أو التاريخ الإسلامي ، ثم بدأت هذا الكتاب " الخلفاء الراشدون " و أنهيت منه الآن .

لقد ألّف في تاريخ الخلفاء الراشدين كتب كثيرة و في جميع العصور و لأن التأليف بدأ في القرن الثاني الهجري ، لذا اختلط الحابل بالنابل لوجود الفرق الكثيرة التي أثّرت في الناس و حاولت تغيير التاريخ الأصيل . يقول الأستاذ محب ا لدين الخطيب في مقدمة كتاب " العواصم من القواصم " .

و أما أبو بكر و عمر ، و سائر الخلفاء الأربعة الراشدين ، و إخوانهم من العشرة المبشرين بالجنة ، و طبقتهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خصوصاً الذين لازموه و راقبوه و تمتعوا بجميل صحبته ــ من أنفق منهم من قبل الفتح و قاتل ، و الذين أنفقوا من بعد و قاتلوا ــ فإنهم جميعاً كانوا شموساً طلعت في سماء الإنسانية مرة ، و لا تطمع الإنسانية بأن تطلع في سمائها شموس من طرازهم مرة أخرى ، إلا إذا عزم المسلمون على أن يرجعوا إلى فطرة الإسلام ، و يتأدبوا بأدبه من جديد ، فيخلق الله منهم خلقاً آخر يعيش للحق و الخير ، و يجاهد الباطل و الشر ، حتى تعرف الإنسانية طريقها الحقيقي إلى السعادة . و هذه الشموس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم تتفاوت أقدارها ، و تتباين في أنواع فضائلها ، إلا أنها كلها كانت من الفضائل في مرتقى درجاتها . و إذا بدأ المشتغلون بتاريخ الإسلام من أفاضل المسلمين في تمييز الأصيل عن الدخيل من سيرة هؤلاء الأفاضل العظماء ، فإنهم ستأخذهم الدهشة لما اخترعه إخوان أبي لؤلؤة ، و تلاميذ عبد الله بن سبأ ، و المجوس الذين عجزوا عن مقاومة الإسلام وجهاً لوجهٍ في قتال شريف . فادّعوا الإسلام كذباً ، و دخلوا قلعته مع جنود خلسة ، و قاتلوهم بسلاح (التقيّة)

بعد أن حولوا مدلولها إلى النفاق ، فأدخلوا في الإسلام ما ليس منه ، و ألصقوا بسيرة رجاله ما لم يكن فيها و لا من سجية أهلها . و بهذا تحوّلت أعظمُ رسالات الله و أكملُها إلى طريقة من الخمول و العطالة و الجمود كان من حقها أن تقتل الإسلام و المسلمين قتلاً ، لو لا قوة الحيوية الخارقة التي في الإسلام ، و هي التي ترجى إذا رجعنا إليها ، و جرّدناها من الطوارئ عليها ، و خلّصنا سيرة رجالها مما شيبت به ، و سرنا في طريقهم مخلصين ، أن نعود مسلمين من ذلك الطراز الأول كما كان في الواقع ، لا كما أراد مبغضو الصحابة و التابعين لهم بإحسان أن يعرضوه على الناس .

(العواصم من القواصم : ص ٤ و ٥) .

و الحمد لله وُجد في الأمة من يوضح الحق من الباطل و يخرج الصحيح من السقيم و أعتقد ــ و لا أزكي على الله أحداً ــ أن كتاب التاريخ الإسلامي للأستاذ محمود شاكر ــ رحمه الله ــ أفضل كتاب في التاريخ ألّف في هذا العصر ، و قد استفدت منه أكثر من أي كتاب آخر .

لقد حاولت أن أضع الخرائط اللازمة للمعارك التي وقعت في العهد الراشدي ليكون أقرب إلى الوعي و أسرع إلى الفهم .

و لا يفوتني أخيراً أن أشكر فضيلة الشيخ عبد السلام حديث أحمد المظهري أحد أساتذة كلية الدراسات الإسلامية (و هي نواة الجامعة الإسلامية في ممباسا) على مساعدته في البحث في بعض المراجع القديمة و الحديثة و مراجعته بعد الطبع على الكمبيوتر عدة مرات و أن أشكر الأخ جمال أحمد الأعظمي كذلك لمراجعته بعض النصوص في المراجع و أن أشكر الأخ محمود أحمد الأعظمي الندوي على طبع الكتاب بالكمبيوتر

و رسم جميع الخرائط للمعارك أو اتجاهات الألوية و المدن و أماكن تواجد المعنيين في بعض الدروس ، فلهم جميعاً شكر المؤلف و اعترافه و جزاهم الله خير ما يجزي عباده الصالحين .

و أخيراً و ليس بآخر أحمد الله سبحانه و تعالى على هذا التوفيق ، و كل ما في الكتاب من صحة و خير ، فذلك الفضل من الله و كل ما سوى ذلك فاستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم و هو الغفور الرحيم . و صلى الله و سلم على عبده و رسوله نبينا محمد و على آله و صحبه و التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين و الحمد لله رب العالمين .

أبو محمد سراج الرحمن الندوي القاضي

تحريراً في ١٥/ ٢ / ١٤٢٢هـ .
بمكتبة كلية الدراسات الإسلامية

****

بسم الله الرحمن الرحيم

مكانة الصحابة في الإسلام

تعريف الصحابي : كلُ من لقي النبي صلى الله عليه و سلم مؤمنا به و مات على الإسلام فهو صحابي .

و قد أثنى الله تعالى على الصحابة فقال : { وَ السَّابِقُوْنَ الْأَوَّلُوْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَ الْأَنْصَارِ و الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوْا عَنْهُ } .[1]

و قال تعالى : – { لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِيْنَ إِذْ يُبَايِعُوْنَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِيْ قُلُوْبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِيْنَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيْباً } .[2]

و قال تعالى : – { مُحَمَّدٌ رَّسُوْلُ اللهِ وَ الَّذِيْنَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُوْنَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَ رِضْوَاناً سِيْمَاهُمْ فِيْ وُجُوْهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُوْدِ }.[3]

---

[1] – (سورة التوبة / ١٠٠) .
[2] – (سورة الفتح / ١٨) .
[3] – (سورة الفتح / ٢٩) .

و قال تعالى : – { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } . [٤]

و أثنى عليهم النبي صلى الله عليه و سلم فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خَيْرُ أُمَّتِيْ قَرْنِيْ ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ . [٥]

و عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَ الَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَ لا نَصِيْفَهُ . [٦]

و المراد بـ ,, أحدكم ،، من أسلم بعد صلح الحديبية .

فالمسلمون يحبُّون جميعَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و يعتقدون أن حبَّهم دينٌ و إيمانٌ و إحسانٌ و بغضَهم كفرٌ و نفاقٌ و طغيانٌ .

و أفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي و هم الخلفاء الراشدون و الأئمة المهديون ثم بقية العشرة الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و بشَّرهم بالجنة و ــ هم بعد الأئمة الخلفاء الأربعة المذكورين ــ طلحة بن عبيد الله و الزبير بن العوّام و سعد بن أبي وقاص و سعيد بن زيد و عبد الرحمن بن عوف و أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهم .

و صحابةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم عُدول و ثِقاة و مؤمنون صالحون ، ليسوا معصومين عن الذنوب و المعاصي و لكنهم أبعد الناس من الإثم و أقربهم إلى التوبة فمن أحسن القول

[٤] – (سورة آل عمران / ١١٠) .

[٥] – (متفق عليه البخاري رقم / ٣٦٥٠ ، و مسلم رقم / ٢٥٣٥) .

[٦] – (البخاري رقم٣٦٧٣ / و مسلم رقم ٢٥٤١ / و أبوداؤد رقم ٤٦٥٨) .

في أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و أزواجه الطاهرات و بناته الصالحات فقد بريء من النفاق .

و المسلمون لا يعتنون بكل ما يُروى من خبر في مساوئ الصحابة ، و قد يعتبرونها من أكاذيب و دسائس اليهود و المجوس و أتباعهم من المنافقين و الجهال .

لقد كانوا رضي الله عنهم غُرَّةً في جبين الزمان و نوراً أضاء سطور التاريخ و هذا الذي جعلهم موضع حب الأمة و تقديرها . أما ما حصل في عهد الصحابة من خلاف أو فتنة أو حرب فكانت اجتهادات منهم أرادوا بها وجه الله ، فمنهم من أصاب فله أجران ، و منهم من أخطأ فله أجر واحد .

و لا شك أن قتل الخلفاء الثلاثة عمر و عثمان و علي رضي الله عنهم و أرضاهم و رحمهم كان بتخطيط من أعداء الإسلام من اليهود و المجوس و المنافقين الذين دمّر الإسلام باطلهم وكُفرهم ، و قد قتلوا شهداء إن شاء الله تعالى [٧]

****

[٧] – (الخلفاء الراشدون و الدولة الأموية / ٤) .

العهد الراشدي

إنّ عصر الخلفاء الراشدين امتداد لعصر النبوة ، فقد تمت فيه البشارات المذكورة في القرآن و السنة ، مثل قوله تعالى : { وعد الله الَّذِيْنَ آمَنُوْا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحَات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِيْ الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُوْنَنِيْ لاَ يُشْرِكُوْنَ بِيْ شَيْئًا وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفَاسِقُوْنَ . سورة النور : ٥٥ } . و قال تعالى : { وَ نُرِيْدُ أَنْ نَّمُنَّ عَلَى الَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا فِيْ الأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَّ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِيْنَ . سورة القصص : ٥ } .

و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه فيقول لَيُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتى يسيرَ الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله . (رواه البخاري : فتح الباري ٧ / ١٩٥ و خرّجه أحمد في مسنده ج ٥ / ١١٠) .

و كما قال صلى الله عليه و سلم لَتَفْتَحَنَّ أرضَ كِسرى عِصَابَةٌ من المسلمين . (مسند أحمد ج ٤ / ٨٩) . و قد أخبر صلى الله عليه وسلم سراقة بن مالك أنه سيلبس سوارى كسرى . (الإصابة ج ٢ / ١٩) .

و في أثناء حفر الخندق قبل غزوة الأحزاب اعترضت لبعض الصحابة صخرةٌ فقام الرسولُ صلى الله عليه و سلم ليحطّمها و حين ضربها برقت منها بارقة فكبّر و كبّر المسلمون معه ثم ضربها ثانية فبرقت و كبّر و كبّر معه المسلمون ثم ضربها ثالثةً فكبّر و كبّر المسلمون معه و قد قال

إثر الضربة الأولى : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، و الله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة . ثم ضربها الثانية فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، و الله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض ثم ضربها الثالثة و قال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة .

(الفتوح الإسلامية عبر العصور ص / ٢١ ، نقلاً عن أحمد في مسنده ج ٤/ ٣٠٣)

فالله سبحانه و تعالى استخلف الصحابة في الأرض و مكّن لهم دينهم و جعلهم أئمة و جعلهم الوارثين ، دخلوا في اليمن و الشام و فارس فاتحين منصورين ، و قد تمّ هذا الأمر حتى سار الراكب من صنعاء إلى حضرموت آمناً مطمئناً .

فيما يلي — أيها القاري — تاريخ مجمل للعهد الراشدي الذي لا يزيد على الثلاثين سنة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم و هي تتمة لعصر النبوة .

****

الفصل الأول

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

خلافته من ١١/٣/١٢هـ ـــ إلى ١٣/٦/٢٢هـ

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

ولادته ، نشأته و فضله

هو عبد الله بن عثمان أبي قحافة من بني تيم و أمه أم الخير سلمى بنت صخر من بني تيم كذلك ، وُلد رضي الله عنه في مكة المكرمة بعد عام الفيل بسنتين و بضعة أشهر و كان أصغر سناً من رسول الله صلى الله عليه و سلم بسنتين و بضعة أشهر .

اشتهر بالخلق الكريم منذ نعومة أظفاره فلم يسجد لصنم و لم يشرب خمراً ، اشتغل بالتجارة ، كان عارفاً بالأنساب ، تألفه قريش لعلمه و تجارته و حسن مجالسه ، كان يتولى أمر القضاء في الدماء و الديات ، كان مطبوعاً على التواضع و لين الجانب و كان صديقاً لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم .

أسرة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه

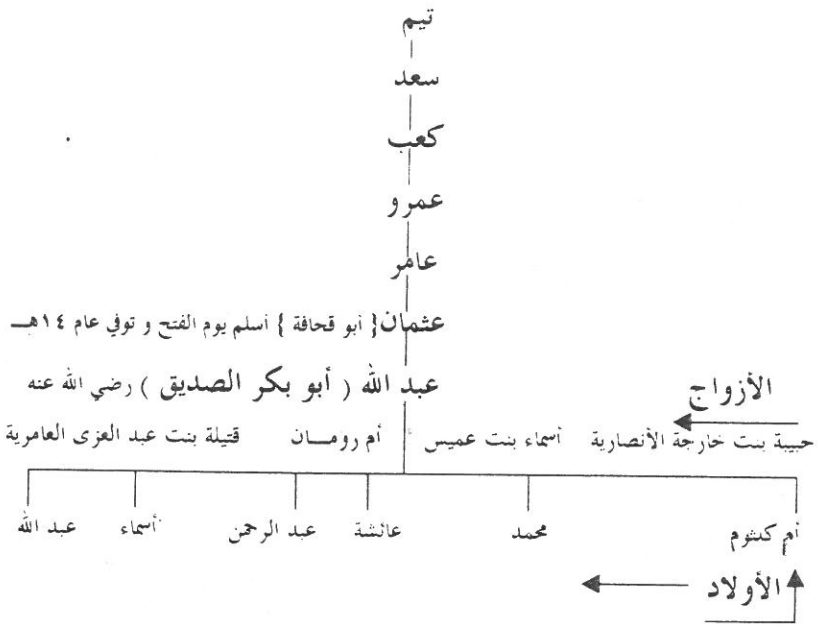

إسلامه رضي الله عنه

اتفق أهل التاريخ أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال و ذلك لما كان يعرف من سلوك النبي صلى الله عليه وسلم و أخلاقه الكريمة من الصدق و الأمانة و العفاف و أنه أهل لحمل الرسالة السماوية ، فلما دعاه إلى الإسلام لم يشك في أمره و شهد بالحق قائلاً : أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أنك رسول الله .

حياته في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة

لقد أسلم عـــدد من كبار الصحابة على يد أبي بكـــر رضي الله عنه منهم عثمـــان بن عفـــان و طلحـــة و الـــزبـــير و سعـــد بن أبي وقاص و عبد الرحمن بن عـــوف ، ثم تبعهـــم سعيد بن زيـــد و أبـــو عبيدة و خباب بن الأرت و عبد الله بن مسعود و الأرقـــم بن أبي الأرقـــم و أبو سلمة عبد الله بن عبد الأســـد المخـــزومـــي و عثمان بن مظعـــون و غـــيرهـــم .

و في هذه الفترة اشترى كثـــيراً من العبيد الـــذين شـــرح الله صدورهم للإسلام و كانوا مضطهدين لـــدى ساداتهم مثل بلال بن رباح كان لأمية بن خلف الجمحـــي و عامـــر بن فهـــيرة كان للطفيل بن عبد الله و زِنّيرَةَ كانت أمة لعمر بن الخطاب و جاريةٍ أخـــرى كانت في بني عـــديٍّ و ثالثةٍ في بني عبد شمس و غـــيرهم اشتراهم و أعتقهم لله .

تحمّل رضي الله عنه مصاعب عديـــدة من قبل مشركـــي قريش و كان يصـــبر عليها بل كلما أصابه شيء زاده ثباتاً على الحق و قوةً في الإسلام ، ضربـــه مـــرةً عتبةُ بن ربيعـــة ضرباً شديداً حتى تورّم وجهه و أُغمي عليه و لما أفاق و تكلّم كانت أولى كلماتـــه " ما فَعَلَ رسولُ الله صلـــى الله عليه وسلـــم ؟ " و هكـــذا كان ثباتـــه علـــى الإســـلام و حمـــايته للرســـول صلـــى الله عليه وسلـــم و لمـــن اعتنـــق دين الإســـلام حـــتى جـــاء الأمـــر بالهجـــرة .

هجرته إلى المدينة

لما أمـــر رسول الله صلـــى الله عليه وسلم أصحابـــه بالهجـــرة إلى المدينة المنورة و بـــدءوا يهاجـــرون ، جـــاءه أبو بكـــر رضي الله عنه يستأذنه كـــذلك فأمـــره أن يصـــبر رجـــاء أن يؤذن له فيهاجـــران معاً . فلما أُذن له هاجرا معاً ، و إليه يشير قوله تعالى : { ثَانِـــيَ اثْنَـــيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَـــارِ إِذْ يَقُـــوْلُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْـــزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا } . [٨]

حياته في العهد النبوي بمدينة الرسول صلى الله عليه و سلم

كان أبو بكـــر الصديـــق رضـــي الله عنه مساعـــداً للنـــبي صلى الله عليه وسلم في جميع أمـــوره و شهـــد معه كل الغـــزوات بـــدراً و أحـــداً و الخـــندق و الحـــديبية و خيـــبر و فتـــح مكـــة و حنيناً ، و في غـــزوة تبوك أنفق كل مالـــه ، و حـــج بالمسلمـــين أمـــيراً في العام التاسع الهجـــري بأمـــر النبي صلـــى الله عليه وسلم .

و لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكـــر رضي الله عنه ليصلـــي بالناس ، فصلـــى بهم سبع عشرة صـــلاة ، ابتداءً من صـــلاة العشاء مساء الخميس ١١/٣/٨هـــ إلى صـــلاة الفجـــر صباح الإثنـــين ١١/٣/١٢هـــ ، و فيه إشـــارة لطيفـــة إلى أنـــه صلـــى الله عليه وسلم قـــد رضـــي أن يكـــون أبو بكـــر خليفة لـــه في حياتـــه . [٩]

---

[٨] – (سورة التوبة / ٤٠) .

[٩] – (نور اليقين / ٢١٩) .

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى يوم الاثنين ١١/٣/١٢هـ الموافق ٦٣٢/٦/٨م إنّا لله و إنّا إليه راجعون . و كان أبو بكر قد ذهب إلى بيته الثاني بالسنح على مسافة ميل من المسجد النبوي فلما سمع ذلك الخبر الفادح أسرع على فرسه فدخل المسجد و الناس يبكون فلم يكلم أحداً ثم دخل في حجرة عائشة رضي الله عنها و رسول الله صلى الله عليه و سلم سُجِّيَ ببردة يمنية فأقبل حتى كشف عن وجهه و قبّل ما بين عينيه و بكى ثم قال : بأبي أنت و أمي أما الموتة التي كتبها الله عليك فقد ذقتها ثم لا تصيبك بعدها موتة أبداً ، قال أبو هريرة : ثم ردّ البردة على وجهه و خرج إلى المسجد و صعد على المنبر فأقبل عليه الناس فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، و من كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت ، ثم تلا هذه الآية { وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُوْلٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَّات أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلي أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَّنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِيْنَ } [١٠].

قال ابن المسيب : قال عمر ــ عند ما سمع أبا بكر يتلو هذه الآية ــ : علمتُ أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد مات . [١١]

[١٠] – (سورة آل عمران / ١٤٤) .

[١١] – (البخاري ١/٢ ، ٦٤٠) .

بيعة الخلافة في سقيفة بني ساعدة:

بعد إعلان أبي بكر بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم، تأكد الأمر لدى جميع الناس، واجتمع عدد من الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وفكروا في بيعة سعد بن عبادة زعيم الخزرج –وهم أكثر الأنصار– كأمير للمسلمين، وأسرع رجل إلى المسجد النبوي وأخبر عمر بن الخطاب عن اجتماع الأنصار في السقيفة، وتكلّم عمر مع أبي بكر، وأدركا ضرورة انتخاب خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فوراً لتدارك أي خطر لحدوث خلاف في أمر ما، فأسرعا وصحبهما في الطريق أبو عبيدة، فلما وصلوا إلى السقيفة رأوا خطيباً من الأنصار، يذكر فضل الأنصار وما قدّموا للمسلمين من خدمات جليلة، فأراد عمر أن يتكلم في الأمر، إلا أن أبابكر منعه وقام بنفسه، فذكر أولاً فضل الأنصار ثم قال: ولكن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب داراً وأنساباً، ثم قال: وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، وأخذ بيدي عمر وأبي عبيدة، وقام الحباب بن المنذر الأنصاري وقال: منا أمير ومنكم أمير، فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن، والله لا ترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيها من غيركم، وقال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار، إنكم أولُ من نصر فلا تكونوا أول من بدل وغير. فقام بشير ابن سعد الأنصاري وأثنى على الأنصار ثم قال: ألا إن محمداً صلى الله عليه وسلم من قريش وقومه أحق به وأولى، فاتقوا الله

و لا تخالفوهم و لا تنازعوهم ، و قام أسيد بن حضير سيد الأوس من الأنصار و دعا إلى بيعة المهاجرين كذلك.

ثم قام عمر بن الخطاب و خاطب الأنصار قائلاً : ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم أبا بكر للصلاة قالوا : بلى ، قال : فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم من قدّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : لا أحد ، و لكن أبا بكر قام و قال لعمر بن الخطاب : أبسط يدك لنبايعك ، قال عمر : أنت أفضل مني ، قال : أنت أقوى مني ، فقال عمر : إن قوتي لك مع فضلك .

و قام عمر و أبو عبيدة و قالا : لا ينبغي لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يكون فوقك يا أبا بكر ، أنت صاحب الغار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و ثاني اثنين ، و أمرك رسول الله صلى الله عليه و سلم حين اشتكى ، فصلّيتَ بالناس ، فأنت أحق الناس لهذا الأمر ، ثم أخذ عمر يد أبي بكر فبايعه و بايعه أبو عبيدة ، و قام أسيد بن حضير سيد الأوس و بشير بن سعد الخزرجي و بايعاه ، ثم قام كل من كان في السقيفة و بايعوه ، و هكذا وقى الله المسلمين شر الفرقة و جمعهم على أفضلهم أبي بكر الصديق (إلا سعد بن عبادة قد تأخرت بيعته قليلاً من الوقت ، ثم بايع و خرج مجاهداً و استشهد في بلاد الشام) .[12]

[12] – (مختصر من التاريخ الإسلامي : ٥٧/٣) .

و في اليوم الثاني اجتمع أبو بكر و عمر و معظم الصحابة في المسجد النبوي الشريف و صعد أبو بكر على المنبر النبوي و قام عمر خطيباً بين يديه ، فحمد الله تعالى و أثنى عليه ثم قال : أيها الناس كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت و لا وجدتها في كتاب الله ، و لا كانت عهداً عهدها إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم و لكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى يُدْبِرَنا – يكون آخرنا – فإن يك محمد صلى الله عليه و سلم قد مات فإن الله جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به ، فاعتصموا به تهتدوا ، و إن أبا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم ثاني اثنين إذ هما في الغار ، فإنه أولى المسلمين بأموركم ، فقوموا إليه فبايعوه ، فقام الناس كلهم فبايعوه كذلك – رضي الله عن الجميع – .

ثم خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه ذكر فيها أصول الحكم في الإسلام بإيجاز ، قال رضي الله عنه بعد أن حمد الله و أثنى عليه : أيها الناس فإني قد وُلّيت عليكم و لست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، و إن أسأتُ فقوّموني ، الصدق أمانة ، و الكذب خيانة ، و الضعيف فيكم قوي عندي ، حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، و القوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يَدَعُ قوم الجهادَ في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، و لا تشيع الفاحشة في قوم

إلا عمّهم البلاءُ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[١٣].

الأعمال الجليلة في العهد الصديقي:

لقد قام أبوبكر الصديق رضي الله عنه في عهده القصير الذي لم يزد عن سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام بأعمال جليلة وهي:

١- إرسال جيش أسامة.

٢- القضاء على المرتدين.

٣- جمع القرآن الكريم.

٤- جهاد الأعداء من الفرس والروم.

١- إرسال جيش أسامة بن زيد:

إن جيش أسامة آخر جيش جهّزه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعـــدده سبعمـــائة مقـــاتل، وبينما كان الناس يستعدون ويتجهزون إذ مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الأخير، فتوقف أسامة بالجيش في الجـــرف حتى التحـــق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى في ذلك المرض وبويع أبوبكر رضي الله عنه بالخلافة،

١٣- السيرة النبوية، لمحمد أبو شهبة، ٥٩٧/٢.

وبعد ثلاثة أيام من وفاته صلى الله عليه وسلم أمر أبوبكر الجيش بالحركة والسير إلى الجهة التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تطأ خيل أسامة منطقة البلقاء جنوب الأردن، وفيها مؤتة التي قتل فيها أبوه زيد بن حارثة وغيرهم والداروم في جنوب فلسطين بالقرب من غزة، وقد نادى منادي أبي بكر قائلاً: "ألا لا يَبقين بالمدينة أحدٌ من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف (وهو مكان في شمال المدينة على بعد خمسة كيلو مترات).

ثم خرج الخليفة ماشياً على قدميه ليودّع أسامة وهو راكب على فرسه وقد قال أسامة: يا خليفة رسول الله لتركبنّ أو لأنزلن، فأجابه الخليفة: والله لا تنزل ولا أركب وما عليّ أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعةً، ثم قال: إن رأيت أن تعينني بعُمَرَ فافعل، فأذن له، فبقي عمر مع أبي بكر في المدينة ليساعده على أعباء الخلافة.

وقد أوصى الخليفة جيش أسامة قـــائلاً: "لا تخونوا ولا تغلُّوا ولا تغـــدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا طفـــلاً صغيراً ولا شيخـــاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم، وسوف تقدمون على قوم

يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها . [١٤]

و هي وصية رائعة تتجلى فيها مبادئ الإسلام العادلة التي تدعو إلى مكارم الأخلاق و إلى الرحمة بالضعفاء و إلى البعد عن التدمير و الإفساد . [١٥]

زحف أسامة بجيشه البالغ سبعَمائة فارس إلى جنوب الأردن فقاتل أناساً ارتدوا من قبيلة قضاعة و هزمهم ثم تقدم شمالاً كما أمره رسول الله صلى الله عليه و سلم و أوصى به أبو بكر و قضى على كل من وقف في وجهه من أعداء الإسلام ثم رجع إلى المدينة سالماً غانماً بعد سبعين يوماً من خروجه .

و في إرسال هذا الجيش دلالة على قوة إيمان أبي بكر رضي الله عنه أولاً ثم على قوة الروح المعنوية لدى المسلمين و انهيارها لدى الأعداء ، فقد شعروا أن إرسال هذا الجيش يدل على وجود قوات كافية في المدينة و لو لم يكن ذلك لما تم إرسال هذا الجيش إلى مثل هذه الأماكن النائية .

☆ ☆ ☆

[١٤] – (التاريخ الإسلامي ٣ / ٦٦ نقلاً عن تاريخ الطبري) .

[١٥] – (الخلفاء الراشدون و الدولة الأموية / ١٥) .

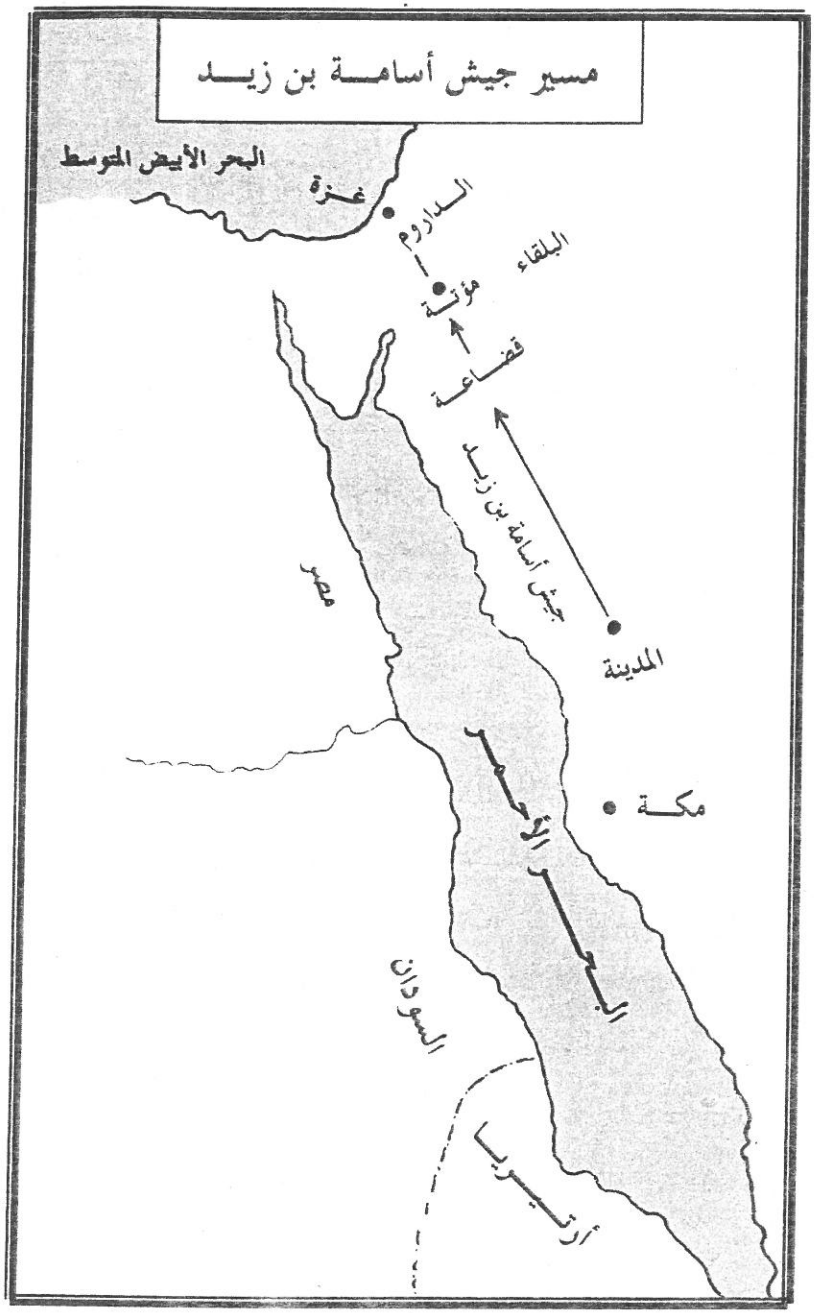

٢- القضاء على المرتدين:

كان للارتداد صورتان: الصورة الأولى للارتداد امتناع عن الزكاة، ظناً من المرتدين ومنهم الأعراب حول المدينة أنها ضريبة كانت تؤدّى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهت بعد وفاته، وظنوا أنهم في كثرة وقوة، فأرسلوا وفداً إلى المدينة لمفاوضة الخليفة رضي الله عنه قائلين: نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونقيم الصلاة، أما الزكاة فلا، فرفض الخليفة مطلبهم حتى قال: "أينُقص الدين وأنا حيّ" وقال: "والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه".

وذلك أن الزكاة ركن من أركان الإسلام وأن الإسلام نظام متكامل يشمل جميع جوانب الحياة الدينية والسياسية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية، ولا يمكن تطبيق الإسلام في جانب وإهماله في جانب آخر، وردّ الخليفة هذا الوفد مسفّهاً رأي الممتنعين، مصراً على رأيه في إجبارهم إلى الخضوع الصحيح للدين.

عاد رجال الوفد إلى قبائلهم وأخبروهم بقلة عدد المسلمين —وكان جيش أسامة قد انطلق- وأطمعوهم في غزو المدينة[١٦].

١٦- التاريخ الإسلامي ٣/٦٨.

إن كثيراً من هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في الإسلام لم يدخل الإيمان في قلوبهم ، قال الله تعالى عنهم : { قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوْا وَ لكِنْ قُوْلُوْا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيْمَانُ فِيْ قُلُوْبِكُمْ } .[١٧]

بعد يومين من انطلاق جيش أسامة جاءت الأخبار إلى الخليفة رضي الله عنه عن استعداد الأعراب للغارة على المدينة فجعل رضي الله عنه كبار الصحابة أمثال علي بن أبي طالب و الزبير بن العوام و طلحة بن عبيد الله و سعد ابن أبي وقاص و عبد الرحمن بن عوف و عبد الله بن مسعود وغيرهم على مداخل المدينة و طلب من أهل المدينة أن يكونوا في المسجد و في اليوم التالي وصلت الغارة إلى المدينة فأرسل الحارسون إلى أبي بكر فخرج بمن في المسجد و قاتلهم فانهزم المغيرون و ولوا الأدبار[١٨] .

هكذا كانت بداية حروب الردة و التي توسعت فيما بعد ، فكان على الخليفة رضي الله عنه أن يستأصلها من الجزيرة العربية قبل أن يستفحل خطرها .

الصورة الثانية للارتداد

ظهور المتنبئين الكاذبين و التفاف الناس حولهم بدافع العصبية القبلية و عددهم أربعة .

١٧ – (سورة الحجرات / ١٤) .

١٨ – (التاريخ الإسلامي ٣ / ٦٩) .

١- الأسود العنسي

اسمه عيهلة بن كعب ، أسلم لما أسلم أهل اليمن ، ثم ارتدّ و ادّعى النبوة قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، و قد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين في اليمن يأمرهم بقتاله ، فقد قتله فيروز أحد أبناء أمراء اليمن الذين من أصل فارسي و أُخبر صلى الله عليه وسلم بالوحي فأخبر الصحابة قبيل وفاته ثم جاء الخبر إلى أبي بكر رضي الله عنه و كتب الخليفة رضي الله عنه إلى وجهاء اليمن بتأمير فيروز و أمرهم بالقيام معه في نصرة الإسلام ، فأصبحت الأمور ممهدة في اليمن قبل وصول الجيش الإسلامي إليها ، الذي قضى على أتباعه ، فمن أصر قُتل و من تاب نجا من الموت .

٢- مُسَيْلَمَةُ الكذاب

ظهر مسيلمة في بني حنيفة باليمامة و جاء مع وفد قومه إلى المدينة فأسلموا فلما رجع كاتبَ رسولَ الله صلى الله عليه و سلم أن يشاركه في الأمر فيكون له نصف الأرض و لقريش النصف الآخر ، فرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُوْرِثُهَا مَنْ يَشَاءَ مِنْ عِبَادِهِ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ . ثم ادعى النبوة و تبعه قومه بدافع العصبية القبلية و استفحل أمره و جرت معارك بينه و بين المسلمين حتى قتله وحشي بن حرب (قاتل حمزة) في شهر ربيع الأول عام ١٢هـ .[١٩]

[١٩] – (التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/٧٢ و فتح الباري ٨/٩٣) .

٣- سجاح بنت الحارث

كانت سجاح بنت الحارث في بني تغلب في الجزيرة ، متنصّرة ، شاعرة ، ادّعت النبوة ، جاءت من الجزيرة إلى اليمامة فتبعها بنو تميم فسارت بهم إلى بني حنيفة و التقت بمسيلمة و تزوجت به . بعد قتل مسيلمة رجعت إلى الجزيرة و أسلمت و قد حسن إسلامها ، ثم ذهبت إلى البصرة و أقامت بها ، توفيت عام ٥٥هـ و صلى عليها والي البصرة سمرة بن جندب رضي الله عنه .[٢٠]

٤- طُلَيْحة بن خُوَيلِد الأسدي

قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم مع وفد قومه بني أسد و بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم ارتدّ و ادّعى النبوة و تبعه قومه بدافع العصبية و جرت معركة بينه و بين المسلمين ، ففرّ من الميدان و ذهب إلى الشام ثم تاب و حسن إسلامه و ذهب إلى مكة معتمراً و مرّ بالمدينة المنورة فقيل لأبي بكر " هذا طليحة " فقال : ما أصنع به ؛ خلوا عنه ، فقد هداه الله للإسلام . و مضى إلى مكة فاعتمر ثم جاء إلى المدينة وقد توفي الخليفة أبو بكر الصديق فبايع عمر حين استُخْلِفَ ، و له جهود مشكورة في فتح نهاوند[٢١] .

[٢٠] – (التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣ / ٧٥) .

[٢١] – (التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣ / ٧٢) .

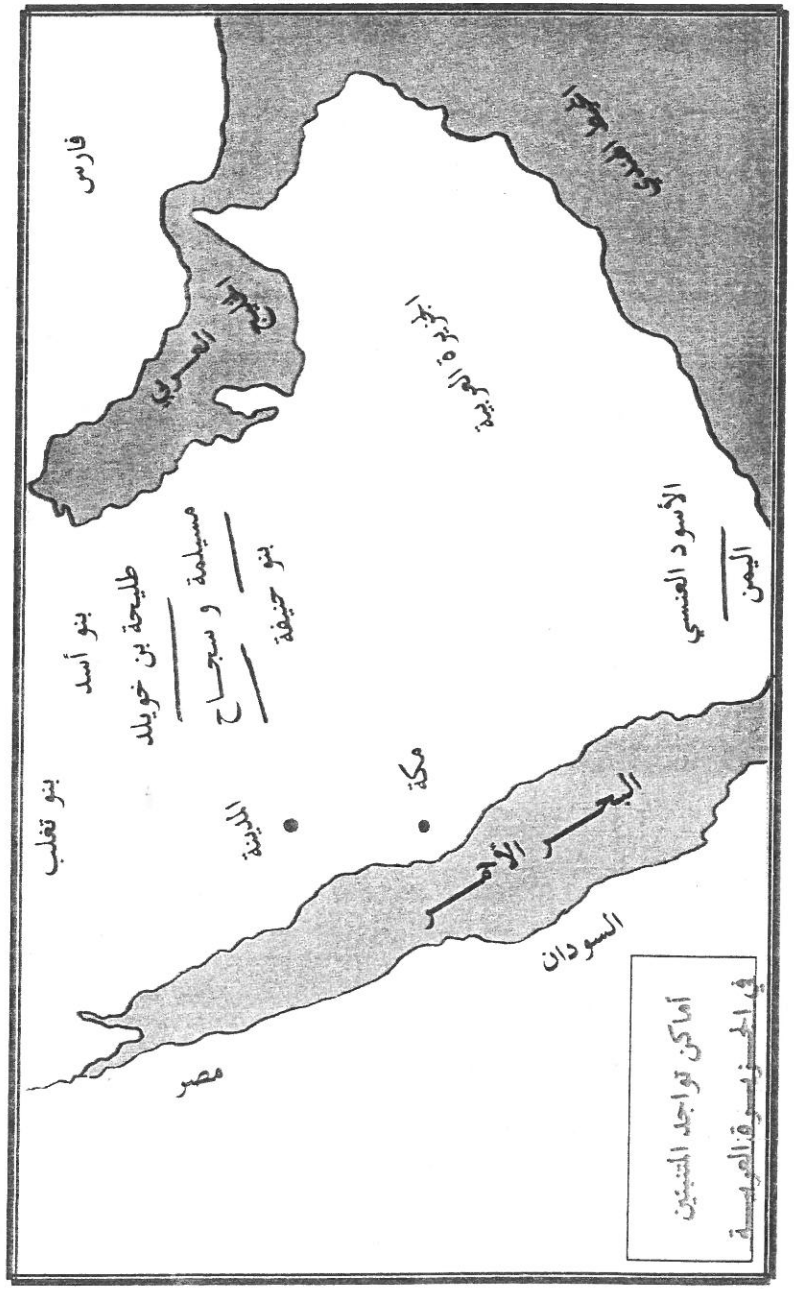

إرسال أحد عشر لواءً للجهاد

و قد التقت حركة المتنبئين مع حركة مانعي الزكاة فتصدى لهما الخليفة رضي الله عنه ، و عقد أحد عشر لواءً للقضاء على المرتدين في كل أنحاء الجزيرة العربية و هم :

١- خالد بن الوليد ٢- عِكرِمة بن أبي جهل ٣- شُرَحْبيل بن حَسَنَة
٤- المهاجر بن أبي أمية ٥- عمرو بن العاص ٦- خالد بن سعيد بن العاص
٧- حُذيفة بن مُحصِن ٨- عَرفَجة بن هرثمة ٩- طُريفة بن حاجز
١٠- سُويد بن مُقَرِّن ١١- العلاء بن الحضرمي .

و قد أعطا هم أبو بكر الصديق رضي الله عنه كتاباً واحداً إلى قبائل العرب المرتدين و المتمردين و هو فيما يلي : (مختصر من كتاب الطبري) .

بسم الله الرحمن الرحيم : من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة و خاصة ، أقام على إسلامه أو رجع عنه ، سلام على من اتبع الهدى و لم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة و العمي ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمداً عبده و رسوله ، نقرّ بما جاء به و نكفر من أبى و نجاهده ، أما بعد ، فإن الله أرسل محمداً صلى الله عليه و سلم من عنده إلى خلقه بشيراً و نذيراً ، و داعياً إلى الله بإذنه و سراجاً منيراً ، لينذر من كان حياً و يحق القول على الكافرين فهدى الله بالحق من أجاب إليه

و ضرب رسول الله صلى الله عليه و سلم بإذن الله من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعاً أو كرهاً .... و إني أوصيكم بتقوى الله و حظكم و نصيبكم من الله و ما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه و سلم ، و أن تهتدوا بهداه و أن تعتصموا بدين الله ، فإن كل من لم يهده الله ضال و كل من لم يعافه مبتلىً و كل من لم يُعِنْهُ الله مخذول ، فمن هداه الله كان مهتدياً و من أضله كان ضالاً قال تعالى : { مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِياً مُرْشِداً }. [22]

و قد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقرّ بالإسلام و عمل به جهالة بأمر الله و إجابة للشيطان و قد قال تعالى : { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوْهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُوْ حِزْبَهُ لِيَكُوْنُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيْرِ } [23] . و إني قد بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان و أمرته أن لا يقاتل أحداً و لا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله فمن استجاب له و أقرّ و كفّ و عمل صالحاً قبل منه و أعانه عليه و من أبى أمرت أن يقاتله على ذلك . ثم لا يُبْقِيَ على أحد منهم قَدَرَ عليه و أن يحرقهم بالنار و يقتلهم كل قتلة و أن يسبي النساء و الذراري

[22] – (سورة الكهف / ١٧) .

[23] – (سورة فاطر / ٦) .

و لا يقبل من أحد إلا الإسلام . فمن اتبعه فهو خير له و من تركه فلن يعجز الله . [24]

و هكذا قدَّم خليفةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم دعوةَ أولئك المرتدين و المتمردين إلى العودة إلى الإسلام و تطبيقه كاملاً كما جاء من عند الله ، ثم حذّرهم من سوء العاقبة فيما لو ظلّوا على ما هم عليه في الدنيا و الآخرة ، و كان رضي الله عنه قوياً في إنذاره ، و هو المناسب بشدة انحرافهم و قوة تصلبهم في التمسك بباطلهم ، فكان لابد من إنذار شديد يتبعه عمل جري لإزالة الطغيان الذي عشش في أفكار زعماء تلك القبائل و العصبية العمياء التي سيطرت على أفكار أتباعه . [25]

تقدم هؤلاء الأحد عشر إلى الجهات التي أمروا بها و كانوا يبدءون بدعوتهم إلى الرجوع إلى الإسلام فمن أجابهم إلى ذلك تركوه و أعانوه و من امتنع و أبى و أصرّ على كفره قاتلوه ، فقد وقعت اصطدامات عنيفة بين المسلمين و المرتدين فمنهم من قتل و منهم من تاب و رجع إلى الإسلام و لم يمض عام واحد إلا و قد عادت للإسلام قوته في جميع أنحاء الجزيرة العربية و علت كلمة التوحيد فيها من جديد و ذلك بفضل الله ثم بفضل حزم الخليفة الصديق رضي الله عنه الذي صمد صمود الجبال في سبيل الله فنصر الله به الدين .

[24] – (تاريخ الطبري ٣ / ٢٥٠ . ٢٥٢)

[25] – (التاريخ الإسلامي مواقف و عبر للدكتور عبد العزيز الحميدي ٥ ٥٥)

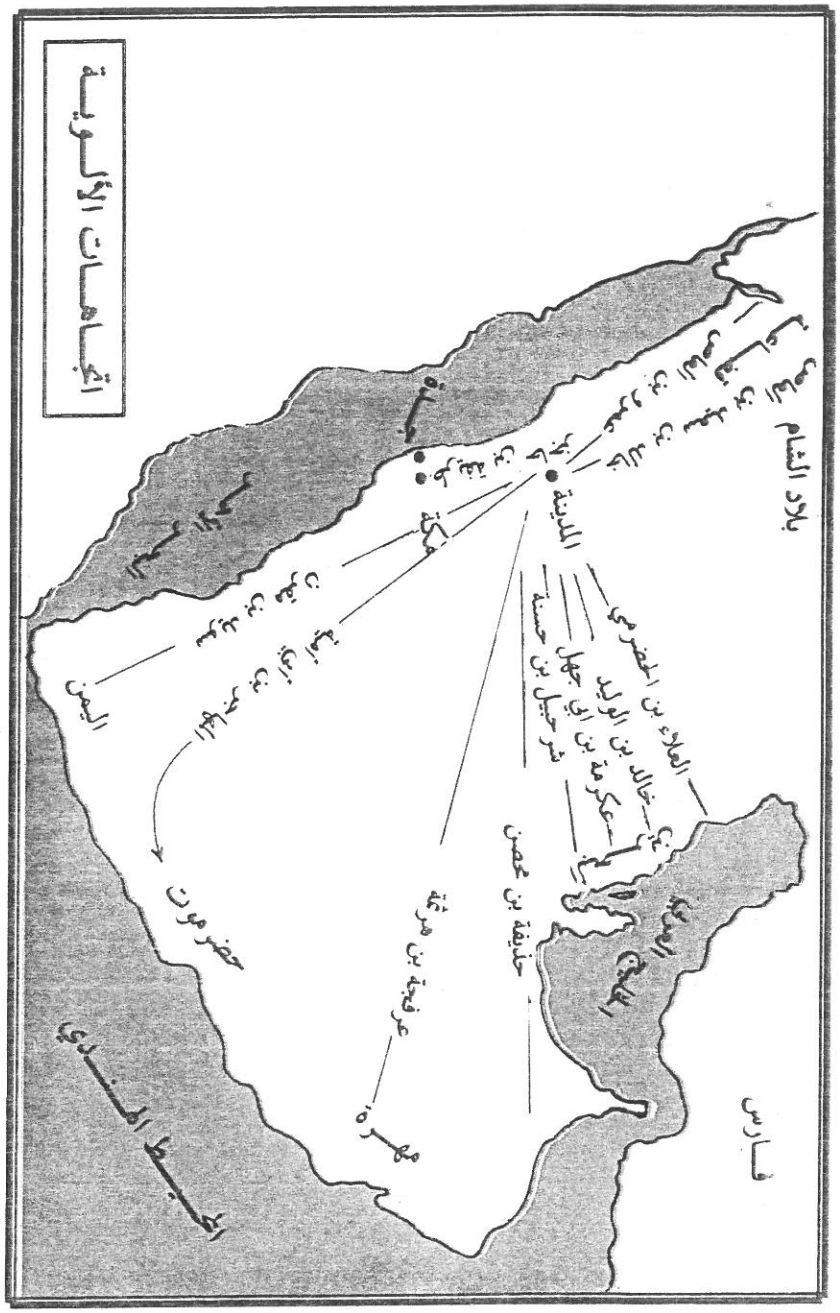

٣- جمع القرآن الكريم

لقد استشهد كثير من حفاظ القرآن من الصحابة رضي الله عنهم في حروب الردة فأشار عمر الفاروق رضي الله عنه على الخليفة أبي بكر بجمع القرآن فتوقف الخليفة و قال : إن الرسول صلى الله عليه و سلم لم يأمر بذلك و دار حديث طويل في هذا الموضوع بين الشيخين رضي الله عنهما حتى شرح الله صدر أبي بكر لصدق قول عمر، فطلب زيدَ بن ثابت رضي الله عنه و عند ما جاء قال له : إن عمر يقول : " لقد قُتِل كثيرٌ من الحفاظ و علينا جمع القرآن " و أنا أرى ذلك ، و أنت رجل عاقل و لا نتهمك ، و قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه و سلم فتتبَّع القرآنَ وَ اجْمَعْه " (و كان زيد بن ثابت يحفظ القرآن كله عن ظهر القلب) فاستعدّ زيد لامتثال هذا الأمر و تَتَبَّعَ القرآن من العظام و الرقاع و الألواح حتى جَمَعَه كما أنزل . قال تعالى : ذلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيْهِ" [٢٦] و قال " إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إنَّا لَهُ لَحافِظُوْنَ " [٢٧] وقال " لاَ يأتيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيْلٌ مِّنْ حَكِيْمٍ حَمِيدٍ " [٢٨] فكان هذا المصحف عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، و قبل وفاته أرسله إلى عمر ، و عمر قبل وفاته أرسله إلى حفصة أم المؤمنين ، ثم طلب منها

---

[٢٦] – (سورة البقرة / ٢) .

[٢٧] – (سورة الحجر / ٩) .

[٢٨] – (سورة فصلت / ٤٢) .

عثمان رضي الله عنه و نسخ منه عدة نسخ تحت إشراف زيد بن ثابت و أرسلها إلى الأقطار الإسلامية و هكذا انتشرت المصاحف في العالم من ذلك المصحف الأول .

٤ – جهاد الأعداء من الفرس و الروم

إن الله سبحانه و تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة بشيراً و نذيراً و من أجل هذا أرسل صلى الله عليه وسلم كتباً إلى الملوك و عظماء الأقوام داخل الجزيرة العربية و خارجها يدعوهم فيها إلى الإسلام ، و استمرت الدعوة من ذلك الوقت و لم تتوقف إلا في فترة وجيزة ما تجاوزت عاماً واحداً و ذلك بسبب الردة – حركات المرتدين و المتنبئين – فلما انتهت الردة و رجع الناس إلى صوابهم كان لابد أن تعود الدعوة من جديد و تسير بشكل طبيعي فإذا وقف في وجهها أحد و لم يقبل الإسلام أو الجزية (و هي مبلغ من المال يؤخذ من كل كافر مستطيع (من أهل الكتاب و المجوس) إعلاناً لخضوعه لحكم الإسلام و يعفى من الزكاة و الجندية) فالجهاد لتكون كلمة الله هي العليا و كلمة الذين كفروا السفلى ، مع مبدأ " لا إكراه في الدين " إلا في الجزيرة العربية فلا يجتمع فيها دينان .

هذا : و قد وقف الفرس في وجه الدعوة في جهة الشرق و الروم في جهة الشمال (أما الجهة الجنوبية ففيها بحر العرب و الجهة الغربية ففيها البحر الأحمر) .

و الذي يدل على قوة إيمان أبي بكر الصديق و ثقته بنصر ربه سبحانه و تعالى أنه بدأ الجهاد في الجبهتين الفارسية و الرومية في آن واحد و أرسل الجيوش لنشر الدين الإسلامي ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور و من جور الأديان إلى عدل الإسلام و من ضيق الدنيا إلى سعتها فمن لم يقبل الإسلام دفع الجزية و بقي على دينه خاضعاً لحكم الإسلام .

فكانت النتيجة أن انتشر الإسلام و عم الأمن و السلام و توقف الظلم و الطغيان و عاش الناس كلهم – مسلمهم و كافرهم – في ظل دولة الإسلام في عدالة اجتماعية ، اطمأنت فيها قلوبهم و استراحت فيها نفوسهم .

فتوح العراق

لما انتهى المثنى بن حارثة الشيباني من حروب المرتدين في البحرين استأذن الخليفةَ الصديقَ رضي الله عنه في فتح العراق و هو الجزء الغربي للدولة الفارسية فأذن له فبدأ في قتالهم و انتصر عليهم في معارك كثيرة حتى وصل إلى حدود العراق إلا أنه رأى كثرة الفرس فذهب إلى المدينة يطلب من الخليفة المدد ثم رجع إلى معسكره .

و لما انتهى خالد من حروب اليمامة كتب إليه أبو بكر رضي الله عنه أن يتوجه إلى العراق و أمره أن يلتقي بالمثنى في الحيرة (و هي عاصمة المناذرة – الملوك العرب التابعين سياسياً للدولة الفارسية)

وأن يكون هو قائد الجيوش الإسلامية، وكتب إلى المثنى يأمره بالانضمام إلى خالد وطاعته، فما كان منه إلا أن أسرع في الاستجابة ولحق بخالد مع جيشه.

وههنا موقف نبيل جداً للمثنى وهو أنه كان القائد الأول في هذه المنطقة، لم تغرّه كثرةُ جيشه ولا كونه أقدم من خالد في إمرة جيوش العراق، فلم يحمله ذلك على أن يرى أنه أحق بالقيادة من خالد رضي الله عن الجميع[٢٩].

سار خالد إلى جنوب العراق وكتب إلى أبي بكر الصديق طالباً المدد فأمده الخليفة برجل واحد فقط وهو القعقاع بن عمرو التميمي وكان يوزن بألف فارس وقال عنه: لا يهزم جيش فيهم مثل هذا[٣٠].

وقال: ''صوت القعقاع في الحرب خير من ألف فارس''[٣١].

وصل خالد إلى الحيرة وكان عليها من قِبَل الفرس هانئ بن قبيصة الطائي، فقال له خالد: إني أدعوكم إلى الله وإلى عبادته وإلى الإسلام فإن قبلتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم فقد جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم شرب الخمر. فقالوا: ''لا حاجة لنا في حربك''

٢٩- التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ١٣٠/٩.

٣٠- تاريخ الطبري ٣٤٦/٣.

٣١- التاريخ الإسلامي ٨٣/٣.

فصالحهم على تسعين و مائة ألف درهم ، و هكذا استمرت انتصارات خالد من مدينة إلى أخرى و تم فتح العراق الغربي على يديه بعد أن أنزل الرعب بأعظم و أقوى إمبراطورية شرقية .

ثم كتب الصديق رضي الله عنه نظراً إلى حاجة الجيوش الإسلامية في الشام ، إلى خالد أن يتوجه إليها و يقود المعارك فاستخلف خالد على جند العراق المثنى بن حارثة الشيباني و سار هو إلى الشام .

فتوح الشام

أعدّ الخليفة الصديق رضي الله عنه أربعة جيوش في مطلع السنة الثالثة عشرة و وجّههم إلى الشام كالتالي :-

١- يزيد بن أبي سفيان في سبعة آلاف وجّهه إلى دمشق ، كان أول الجيوش التي غادرت المدينة إلى الشام .[٣٢]

٢- شُرَحبيل بن حَسَنة وجّهه إلى الأردن ، غادر المدينة بعد ثلاثة أيام من مسير يزيد و معه سبعة آلاف .

٣- أبو عبيدة عامر بن الجراح وجّهه إلى حمص و معه سبعة آلاف .

٤- عمرو بن العاص وجّهه إلى فلسطين و قد تأخر مسيره عن الأمراء الثلاثة السابقين و معه ثلاثة آلاف و أوصى كل هؤلاء بوصايا مهمة مثل تقوى الله عز و جل و اعتبره أهم عوامل النجاح في العمل و اجتناب التعصب للآباء و الأقوام و الاهتمام بإقامة الصلوات و إكرام رسل العدو و الاحتفاظ بالأسرار و إتقان المشورة و الإيجاز في الموعظة وغيرها . و بقي عكرمة في ستة آلاف من الجند ردءاً لجيوش المسلمين .

[٣٢] - (التاريخ الإسلامي ٣ / ٩٠) .

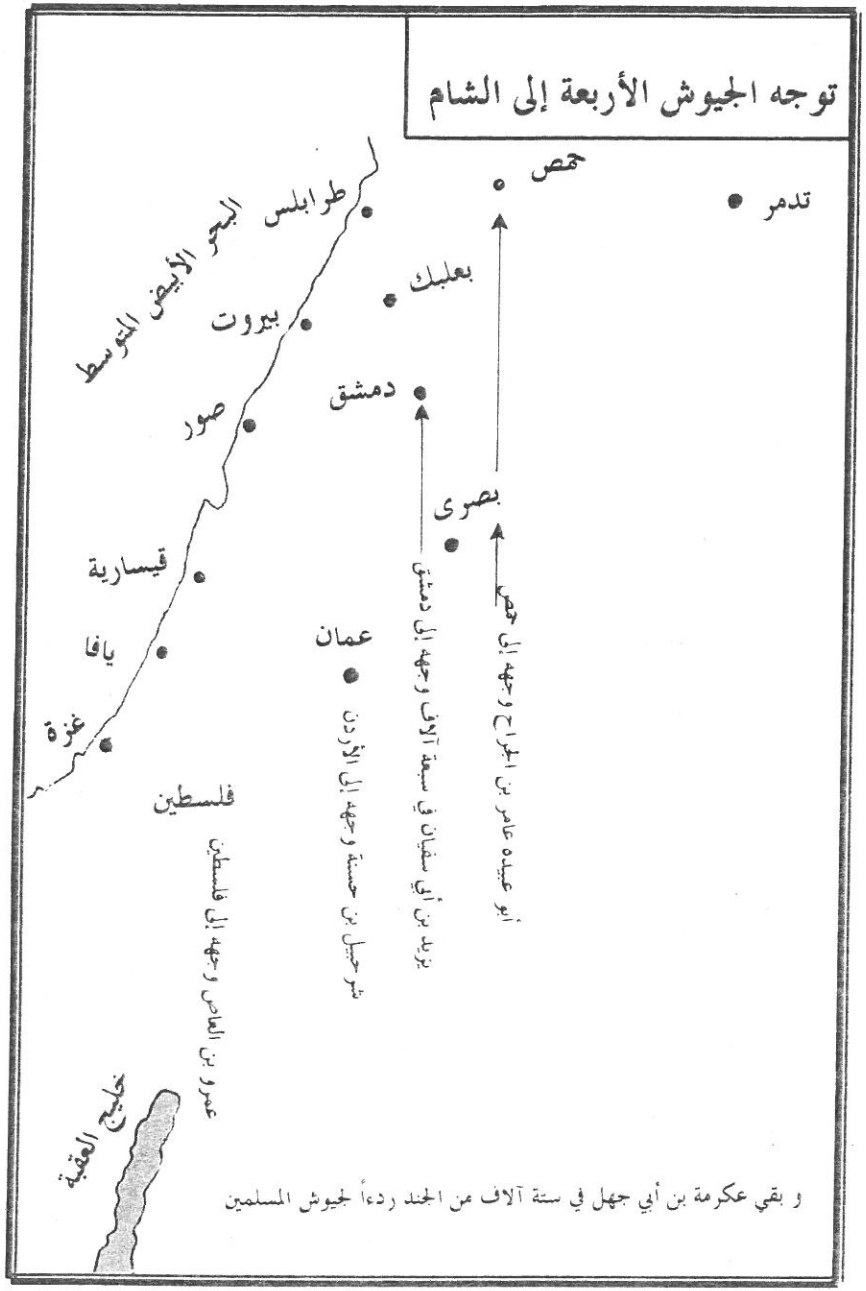

مكاتبات بين الخليفة و القواد المسلمين

لما وصلت الجيوش الإسلامية إلى جنوب الشام عرفوا عن كثرة جيوش الروم فكتب أبو عبيدة إلى الخليفة :

بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي عبيدة . سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد ، فإنّا نسأل الله أن يعز الإسلام و أهله عزّاً متيناً و أن يفتح لهم فتحاً يسيراً ، فإنه بلغني أن هرقل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام تدعى أنطاكية و أنه بعث إلى أهل مملكته فحشرهم إليه و أنهم نفروا إليه على الصعب و الذلول و قد رأيت أن أعلمك ذلك فترى فيه رأيك و السلام عليك و رحمة الله و بركاته .

فردّ عليه الخليفة و شجّعه على المضي قدماً و وعد بإرسال المدد .

و كتب يزيد بن أبي سفيان إلى الخليفة خطاباً مماثلاً و فيه أن هرقل استنفر أهل مملكته ، فمرنا بأمرك و عجّل علينا في ذلك برأيك نتبعه إن شاء الله و نسأله النصر و الصبر و الفتح و العافية للمسلمين و السلام عليك و رحمة الله .

فردّ عليه الخليفة و فيه ..... و أنا مع ذلك ممدّك بالرجال إثر الرجال ، حتى تكتفوا و لا تحتاجوا إلى زيادة إنسان إن شاء الله و السلام عليك و رحمة الله .

علم الخليفة الصديق رضي الله عنه بثاقب بصره أن وضع المسلمين في الشام لا يحتاج فقط إلى إمدادهم بالجيوش و إنما يحتاجون إلى قائد حربي لها مهارته القيادية و خبرته الحربية و لَمَع في ذهنه قامعُ المرتدين و فاتح جنوب العراق خالد بن الوليد فكتب إليه : أما بعد ، فإذا جاءك كتابي هذا فدع العراق حتى تأتي الشام ، فتلقى أباعبيدة و من معه من المسلمين فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة و السلام عليك .

و كتب أبو بكر إلى أبي عبيدة : بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ؛ فإني وَلّيتُ خالداً بقتال الروم بالشام فلا تخالفه و اسمع له و أطع أمره فإني ولّيته عليك و أنا أعلم أنك خير منه و لكن ظننت أن له فطنةً في الحرب ليست لك ، أراد الله بنا و بك سبل الرشاد و السلام عليك و رحمة الله .

و كتب خالد إلى أبي عبيدة : لقد أتاني كتاب خليفة رسول الله يأمرني بالمسير إلى الشام و بالمقام على جندها و التولّي لأمرها ، و الله ما طلبت ذلك و لا أردته و لا كتبت إليه و أنت رحمك الله على حالك التي كنت عليها لا يُعصي أمرُك و لا يُخالَف رأيُك و السلام .[٣٣]

مسير خالد إلى الشام

قام خالد بمغامرة جريئة حيث أسرع مع جيشه البالغ تسعة آلاف تقريباً بعبور الصحراء القاحلة من جنوب شرق العراق إلى جنوب الشام ــ دُوْمَة الجَنْدَل ــ ثم إلى كرك شمالاً و لم تكن مأهولةً من قبل ، فلا ماءَ

---

[٣٣] – (التاريخ الإسلامي مواقف و عبر ج ٥ ص ٢١٢–٢٢٩ مختصراً) .

و لا طعامَ ، و ذات يوم نحروا النوق و شربوا ما في أجوافها من الماء ثم توجّه غـــرباً إلى تدمر فصالحـــه أهلها ، ثم مـــرّ بدمشق و حاصـــرها ثم تركهـــا و ذهب إلى بصـــرى فخـــرج أهلها و اقتتلوا ، فهـــزمهم خالـــد بإذن الله و بأمره و لما رأوا أنهم لا طاقة لهم طلبوا الصلح . فكانت بصرى أول مدينة فتحت من الشام و لله الحمـــد .

و إن رحلـــة خالـــد هـــذه من جنوب العراق إلى بصرى و التي تمت في خمسة أيام لم تكـــن مجـــرد عبور إلى الشام ، بل قـــد قام رضي الله عنه بإخضاع القبائل و القـــرى التي مرّ بها . و هذه التحركات السريعة أذهلت الأعـــداء و أرعبتهم بل أعطت خالـــداً سمعة حـــربية مرعبة مع ما سبق له من سمعـــة عالية في هـــذا المجـــال . [٣٤]

[٣٤] – (التاريخ الإسلامي مواقف و عبر ج ٥ / ص ٢٤٢) .

مسير خالد من الحيرة إلى بصرى مروراً بدومة الجندل و كرك

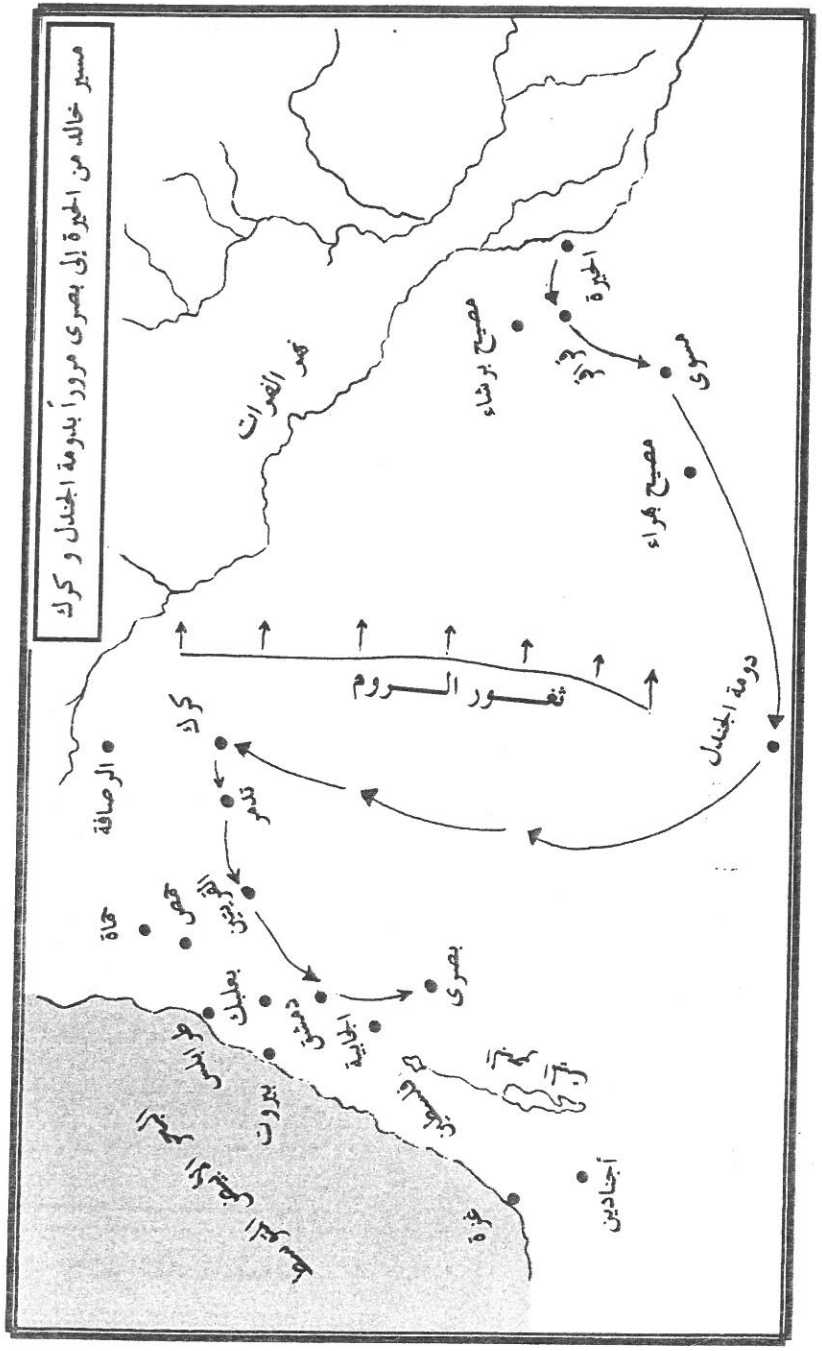

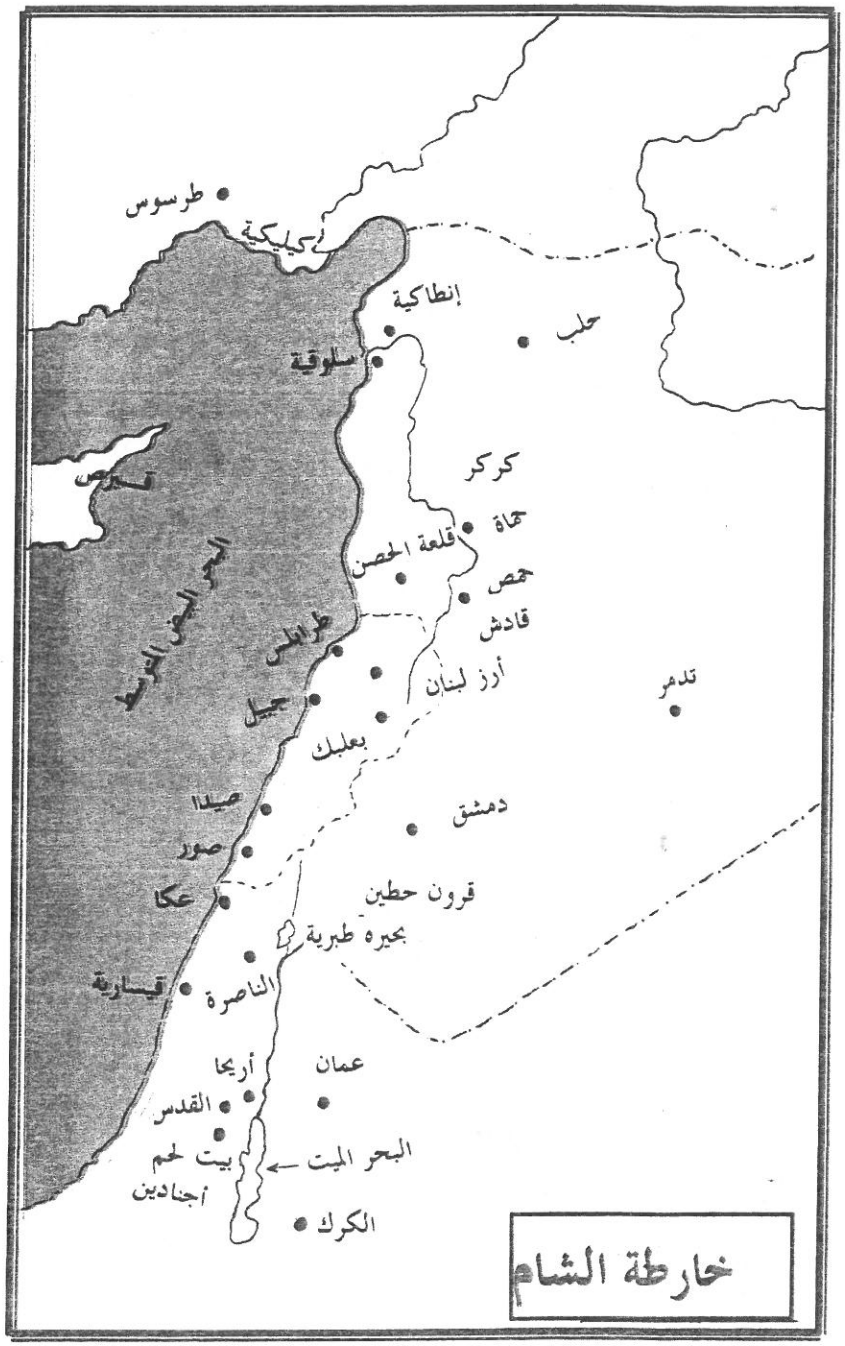

معركة أجنادين عام ١٣هـ

عرف هرقل ملك الروم عن قوات المسلمين فجمع جموعاً غفيرةً في أجنادين تحت قيادة أخيه تذارق .

كان عمرو بن العاص في جنوب فلسطين في ثلاثة آلاف و يزيد ابن أبي سفيان في البلقاء في سبعة آلاف و شرحبيل في بصرى في سبعة آلاف أما خالد و أبو عبيدة فقد اتحد جيشهما و كان مع أبي عبيدة سبعة آلاف و مع خالد تسعة آلاف و قد توجها نحو دمشق بعد أن تمّ فتح بصرى .

و جاءت الأخبار عن تحشد الروم في أجنادين و يبلغ تعداده إلى سبعين ألف مقاتل . فاستشار خالد أبا عبيدة ثم طلب من عمرو ابن العاص و يزيد بن أبي سفيان و شرحبيل بن حسنه أ ن يوافوهم بأجنادين و خرج خالد و أبو عبيدة بمن معهما ثم اجتمعوا كلهم بأجنادين و صار عددهم ثلاثةً و ثلاثين ألفاً .

نظم خالد المسلمين بهذا الترتيب : ميمنة و عليها معاذ بن جبل ، و ميسرة و عليها سعيد بن عامر ، و عيّن على الخيل سعيد بن زيد و أنزل أبا عبيدة في الرجال ، و كان يسير في الناس و يحرّضهم على القتال ، و يعظهم معاذ بن جبل و يذكّرهم الثواب العظيم من الله . و تقارب الجيشان و نادى خالد قائلاً : احملوا رحمكم الله على اسم الله ، فالتحم الناس و ما استطاع الروم الثبات و انهزموا شر هزيمة و قُتِل قائدُ هم تَذَارقُ و وصل عدد قتلاهم إلى ثلاثة آلاف و فرّ الباقون و غنم المسلمون عسكر هم و ما فيه .

ثم كتب خالد بن الوليد إلى الخليفة الصديق رضي الله عنه بهذا الفتح العظيم .

لعبد الله أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم من خالد بن الوليد ، سيف الله المصبوب على المشركين أما بعد ، فإني أخبرك أيّها الصديق إنّا التقينا نحن و المشركون و قد جمعوا لنا جموعاً جمة كثيرة بأجنادين ، و قد رفعوا صُلُبَهم و نشروا كُتُبَهم و تقاسموا بالله أنّهم لا يَفرّون حتى يُفنونا أو يخرجونا من بلادهم ، فخرجنا إليهم واثقين بالله ، متوكلين على الله ، فطاعَنّا هم بالرماح ثم صِرنا إلى السيوف ، فقارعنا هم في كل فج و شعب و غائط ، فأحمد الله على إعزاز دينه و إذلال عدوه و حسن الصنيع لأوليائه و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

جاء بهذا الخطاب عبد الرحمن بن حنبل الجمحي و لما قرأه أبو بكر فرح به و أعجبه و قال : " الحمد لله الذي نصر المسلمين و أقر عيني بذلك " .

كانت وقعة أجنادين أول وقعة عظيمة كانت بالشام و كانت سنة ثلاث عشرة في ٢٨ / جمادى الأولى يوم السبت نصف النهار و كانت قبل وفاة أبي بكر رضي الله عنه بأربع و عشرين ليلة .[٣٥]

[٣٥] – (التاريخ الإسلامي مواقف و عبر ج ٥ / ص ٢٤٢–٢٥٠ نقلاً عن فتوح الشام للازدي ٨٣– ٩٣) .

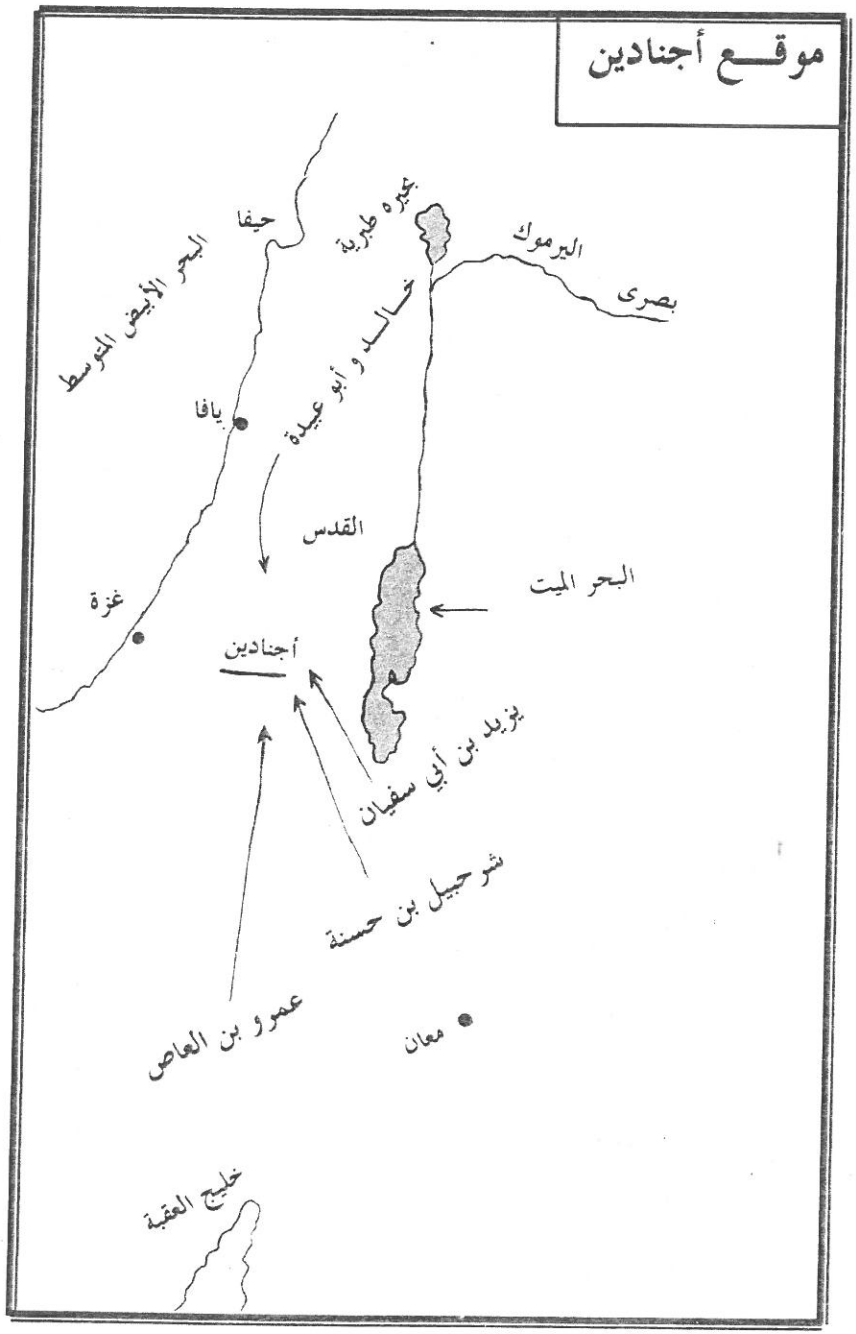

مرض أبي بكر و استخلافه عمرَ

شعر أبو بكر الصديق رضي الله عنه بشيء من الراحة النفسية بعد أن قضى على المرتدين و انطلقت الفتوحات في كل الجهات و تحطمت كبرياء الدولتين الكبيرتين الفارسية و الرومية ــ اللتين كانتا تقفان في وجه الدعوة و تدعمان المرتدين و تستنفران قواهما و من والاهما من العرب المتنصّرة فقد شعر رضي الله عنه أن مهمته في الحياة قد انتهت فقد توطد الأمر و ثبت كيان الإسلام و سيتابع الأمرَ الخلفاءُ من بعده ، كما زاد شعوره في هذا الأمر أن سِنَّهُ قد اقترب من سن حبيبه و رسوله محمد صلى الله عليه و سلم عندما فارق الحياة الدنيا و انتقل إلى الرفيق الأعلى ، كما شعر أن استخلافه رجلاً من بعده و هو على قيد الحياة يجنب المسلمين الكثير من الصعاب . [٣٦]

شعر رضي الله عنه بالمرض ابتداء من يوم الاثنين ٧/ جمادى الثانية و استمر لمدة أسبوعين ، و لما اشتد المرض جمع عدداً من الصحابة المعروفين الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشيرهم في الأمر و طلب منهم أن يؤمّروا واحداً منهم ، فلم يستقم لهم ذلك .

[٣٦] – (التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣ / ١٠٠) .

ثم دعا عبد الرحمن بن عوف و سأله عن عمر بن الخطاب فقال له ما تسألني عنه أمراً إلا و أنت أعلم به مني ، ثم قال : هو أفضل من رأيك فيه .

ثم دعا عثمان بن عفان فقال له : مثل ذلك فقال عثمان : علمي به أن سريرته خير من علانيته ، و أنه ليس فينا مثله ، ثم دعا أسيد بن حضير فقال له : مثل ذلك فردّ عليه مثل ما ردّ عثمان و أضاف لن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه و دعا عدداً من المهاجرين و الأنصار و كلهم تقريباً كانوا على رأي واحد في عمر .

و سأل علياً رضي الله عنه فقال : عمر عند ظنك به و رأيك فيه إن وليته نحظي برأيه و نأخذ منه فامض لما تريد [٣٧] .

و قال أحد الصحابة لأبي بكر و قد علم أن عمر سَيُسْتَخْلَف ، ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا و قد ترى غلظته و هو إذا ولي كان أفظ و أغلظ .

فقال أبو بكر : أجلسوني قلما جلس ، قال : أ بالله تخوفونني ؟ خاف من تزوّد من أمركم بظلم ، أقول : اللهم قد استخلفت على أهلك خير أهلك ، ثم قال للقائل أبلغ عني ما قلت لك مَن وراءك .

ثم اضطجع و دعا عثمان ــ و كان كاتباً له ــ فقال له : أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما دعا به أبو بكر بن أبي قحافة

[٣٧] – (و سؤاله علياً رضي الله عنه يدل على أنه كان يثق به و كان من أنصاره و رفقائه لا من أعدائه كما تزعم أعداء الإسلام) .

في آخـر عهده بالـدنيا خارجاً منها و أول عهده بالآخـرة داخـلاً فيها حيث يؤمن الكافر و يوقن الفاجر و يصدق الكاذب ، أني استخلفت عليكم بعـدي ـ و أخذته غشيةٌ قبل أن يسمي أحـداً ..... ـ فكتب عثمانُ رضـي الله عنه اسمَ عمرَ ثم أفاق أبو بكـر فقال : اقـرأ عليّ ما كتبت ، فقـرأ عليه ذكـر عمر ، فكبّر أبو بكـر و قال : أراك خفت أن تذهب نفسي في غشيتي تلك فيختلف الناس فجـزاك الله عن الإسـلام خـيراً . و و الله إن كنت لها لأهـلاً . ثم أمـره أن يتمم فأملـي عليه : فاسمعـوا و أطيعـوا و إني لم آل الله و رسـولـه و دينه و نفسي و إياكـم خـيراً فإن عـدل فـذلك ظـني بـه و علمـي فيه و إن بـدّل فلكل امـرئ ما اكتسب ، و الخـيرَ أردتُ و لا أعلم الغيبَ و سيعلم الـذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ، و السـلام عليكـم و رحمة الله و بركاتـه .

ثم أمـره فختم الكتاب و خـرج بـه مختوماً و معه عمر بن الخطاب و أسيد بن حضـير ، و أشرف أبو بكـر علي الناس من كـوّتـه فقال : أيها الناس إني قـد عهـدت عهـداً أ فترضونه ؟ فقال الناس : رضينا يا خليفة رسـول الله صلى الله عليه و سلم ، فقام علـي رضـي الله عنه و قـال : لا نـرضـى إلا أن يكـون عمر [38] .

فأقـرّوا بـذلك جميعاً و رضـوا به ثم بايعـوا ، فرفـع أبو بكـر رضي الله عنه يديـه و قال : اللّهم إني لم أرد بذلك إلا صـلاحهم و خفت عليهم الفتنة فعملت فيهم ما أنت أعلم به و اجتهـدت لهم رأيي ، فولّيت

[38] – (و فيه تصـريح بالغ على أن عمر كان أُستُخلف و عليّ رضي به بل ألح عليه و يراه أفضل و أحق بالخلافة من نفسه و غيره) .

عليهم خـيرهم و أقواهم عليه و أحرضهم على ما أرشدهم و قد حضرني من أمرك ما حضـر فاخلف فيهم فهم عبادك و نواصيهم بيدك فاصلح لهم أمـيرهم و اجعلـه من خلفـائك الراشـدين يتبع هـدي نـبيّ الرحمـة و هـدي الصالحـين بعده و أصلح له رعيته ، ثم دعـاه فأوصـاه . [39]

وفـاة أبي بكـر

استمـر مـرضـه خمسة عشـر يومـاً ثم تـوفي رضـي الله عنه مساء يوم الإثنـين ١٣/٦/٢٢هـ الموافـق ٦٣٤/٨/٢٢م و كانت سنه ثلاثا و ستين سنة و كانت مدة خلافتـه سنتين و ثلاثة أشهر و عشرة أيام ، (من ١١/٣/١٢ هـ إلى ١٣/٦/٢٢ هـ) غسلته زوجتـه أسماء بنت عميس حسب وصيتـه و صلّـى عليه خليفتـه عمر بن الخطاب و نزل في قـبره عمر و عثمان و طلحـة و ابنه عبد الرحمن و دفن في بيت عائشة بجـانب قـبر النـبي صلـى الله عليه و سلـم حسب وصيتـه ، رضـي الله عنه و أرضـاه .

****

[39] – (التاريخ الإسلامي لمحمود شاكـر ٣ / ١٠٢) .

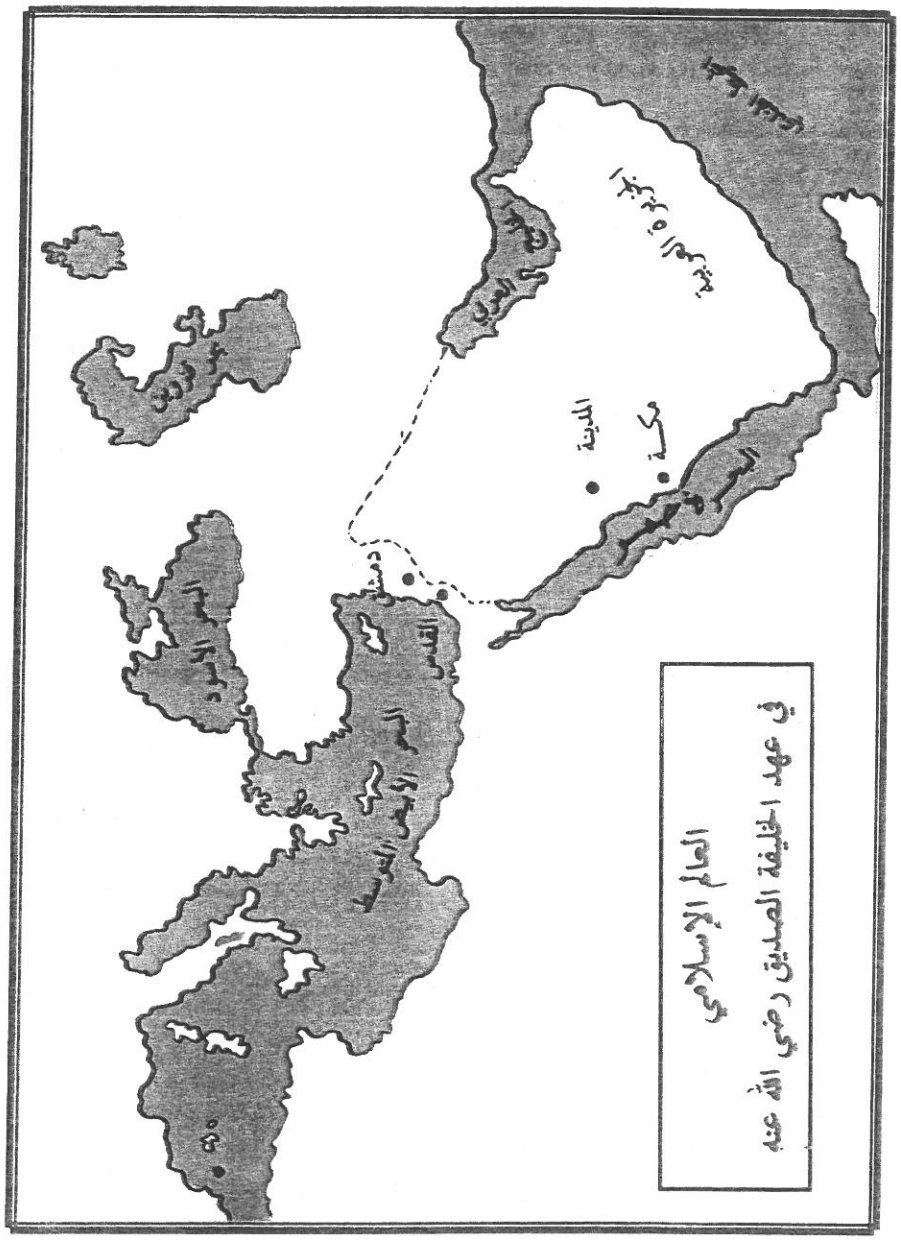

الفصل الثاني

****

عمر الفاروق رضي الله عنه

خلافته من ١٣/٦/٢٢هـ ـــ إلى ٢٣/١٢/٢٧هـ

عمر الفاروق رضي الله عنه

ولادته ، نشأته و فضله

هـو عمر بن الخطـاب بن نفيل من بـني عـدي بن كعب و أمـه حنتمـة بنت هـاشـم بن المغـيرة من بـني مخـزوم (بنت عم خالد بن الوليد) ولد في مكة المكرمة قبل الهجرة بأربعين سنة ، نشأ في بيت اشتهـر بالسيادة و الشرف و تربيّ على الصـدق و الأمانـة و الشهامـة و الجـرأة في قول الحـق و كان سفـير قـريش إلى قبائل أخـرى إذا وقـع بينهما خـلاف أو قتال.

إسلامه رضي الله عنه

لما بعث النـبي صلى الله عليه وسلم و أعلن بدعـوتـه للناس و دخل من دخـل في الإسـلام و من أسـرتـه فاطمة و ابن عمه و ختنه سعيد بن زيـد و نعيم بن عبد الله و آخـرون من بـني عـدي أما عمر فلم يسلم و تمسك بجـاهليته و أخـذ عن خاله أبي جهل معاداته الصريحة للإسـلام و الوقـوف في وجهـه فكان يـؤذي و يضـرب من دخـل في الإسـلام من العبيد و المستضعفـين .

و كان رسـول الله صلـى الله عليه وسلـم قـد دعا الله عز و جل لإسلامـه ، روى الترمـذي عن ابن عمر رضـي الله عنهما أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال : اللّهم أعزّ الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام فكان أحبهما إلى الله عمر .[40]

و خرج يوماً متوشحاً بسيفه كان يريد القضاء على النبي صلى الله عليه وسلم إذ لقيه في الطريق نعيم بن عبد الله و بعد حوار بينهما غيّر وجهته إلى بيت ختنه سعيد و معه فاطمة أخته وجدهما يقرءان صحيفة فيها سورة طه ، فضربهما و شجّهما حتى قالا : نعم قد أسلمنا و آمنّا بالله و رسوله فاصنع ما بدا لك ، هاهنا تأتّر عمر و طلب الصحيفة فامتنعت أخته و قالت : إنا نخشاك عليها ، قال : لا تخافي و حلف لها فطمعت في إسلامه و قالت له يا أخي : إنك نجس على شركك و إنه لا يمسها إلا الطاهر ، فقام و اغتسل ، فأعطته الصحيفة فقرأها . فقال ما أحسن هذا الكلام ، ثم ذهب إلى بيت الأرقم بن أبي الأرقم عند الصفا الذي كان مقرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه و قال : يا رسول الله جئتك لأؤمن بالله و رسوله و بما جاء من عند الله ، فكبّر رسول الله صلى الله عليه و سلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم ، و كان ذلك بعد إعلان إسلام حمزة بثلاثة أيام في أواخر شهر ذي الحجة عام ٦ من النبوة .[41]

---

[40] - (الترمذي ٢٠٩/٢) .

[41] - (سيرة بن هشام ج ص ٣٥٨ ــ الرحيق المختوم ١١٦ــ تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١١ــ التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ج٣/ص١٢٢) .

كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلّى عند الكعبة و صلينا معه .

و يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوماً مع أصحابه في صفين ، عمر في أحدهما و حمزة في الآخر حتى دخل المسجد فنظرت قريش إلى عمر و إلى حمزة فأصابتهم كآبة لم تصبهم قط و سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق .

هذا و مع كونه رجلاً مهيباً ذا شكيمة لم ينج من اضطهادات قريش حتى ثاروا إليه فما زال يقاتلهم و يقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم و طلح ــ أي أعيا ــ عمر فقعد و قاموا على رأسه و هو يقول : " افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا .[42]

هجرته إلى المدينة

لما اشتد أذى قريش على المسلمين و أذن للمسلمين بالهجرة إلى يثرب بدءوا يهاجرون إليها خُفْيَةً إلا عمر ، فقد روى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : " ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً إلا عمر بن الخطاب ، فإنه لما همّ بالهجرة تقلد سيفه و تنكب قوسه و جعل في يده أسهماً و اختصر عنزته و مضى قِبَلَ الكعبة و الملأ من قريش في فنائها، فطاف بالبيت

---

[42] - (سيرة ابن هشام ٤٧٤/١) .

سبعاً متمكناً ، ثم أتى المقام فصلى ، ثم وقف على الحِلَقِ واحدةً واحدةً ثم قال لهم : " شاهت الوجوه من أراد أن تثكله أمه و يُيَتَّمَ ولده و تُرَمَّل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي ، ثم مضى إلى المدينة و ما تبعه أحد " . و هاجر معه قوم من المستضعفين .

حياته في العهد النبوي

كان عمر رضي الله عنه مستشاراً مثل أبي بكر للنبي صلى الله عليه و سلم و مصاحباً له ، قد شهد الغزوات كلَّها و له مواقف مشهودة خلال غزوة بدر ثم أحد ثم المريسيع و قاد سرية إلى تربة في الجنوب الشرقي من مكة المكرمة ، و في صلح الحديبية موقفه مع أبي جندل بن سهيل بن عمرو إذ قال له ناصحاً اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون و كان أحد الشهداء على وثيقة الصلح .[43]

وفي فتح مكة بعد بيعة الرجال اجتمعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء قريش تتقدمهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان و كان عمر حاضراً و يضحك من مناقشتها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : بَايِعهن ، فبَايَعَهن عمر على أن لا يشركن بالله شيئاً و لا يسرقن و لا يزنين و لا يقتلن

[43] – (التاريخ الإسلامي ٣ / ١٣٧) .

أولادهن و لا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن و أرجلهن و لا يعصين في معروف .[44]

لما أرملت بنته حفصة بعد موت زوجها خنيس بن حذافة السهمي زوّجها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سنة ٣ هـ ، و لما سمع أنها تراجعُ النبيَ صلى الله عليه و سلم نصحها و حذّرها من عقوبة الله و غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدأت .

أخرج ابن ماجة بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدّثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو على حصير قال : فجلست فإذا عليه رداءه و ليس عليه غيره ، و إذا الحصير قد أثر في جنبه ، و إذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع و قرظ في ناحية في الغرفة ، و إذا إهاب معلق ، فابتدرتْ عيناي، فقال : ما يُبكيكَ يا ابن الخطاب ؟ فقال : يا نبي الله و ما لي لا أبكي ؛ و هذا الحصير قد أثر في جنبك و هذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى ، و ذلك كسرى و قيصر في الثمار و الأنهار و أنت نبي الله و صفوته و هذه خزانتك ؛ قال : يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة و لهم الدنيا ؟ .[45]

كان رضي الله عنه يرى الرأي أحياناً و يذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فينزل الوحي موافقاً لرأيه ، من ذلك موقفه من الخمر و الاستئذان ، فلا عجب أن مدحه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال :

[44] – (التاريخ الإسلامي ٣ / ١٣٧) .
[45] – (حياة الصحابة ٢ / ٢٧٢) .

" إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر و قلبه و هو الفاروق فرّق الله به بين الحق و الباطل " . [٤٦]

خلاصة القول إنه رضي الله عنه كان في الرقم الثاني بعد أبي بكر رضي الله عنه لدى النبي صلى الله عليه و سلم و عند أصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

حياته في العهد الصديقي

لما تولي أبو بكر الخلافة كان عمر أول من بايعه ثم بايع أبو عبيدة ثم بقية المهاجرين و الأنصار ، و لما أمر الخليفةُ أسامةَ بن زيد بالزحف إلى بلاد الشام وكان في جيشه عمر بن الخطاب ، طلب منه الخليفة قائلاً : إن رأيت أن تعينني بعمر بن الخطاب فَافْعَلْ ، فوافق القائد الشاب على الفور و بقي عمر إلى جوار الخليفة ليساعده على أعباء الخلافة (كما مرّ في إرسال جيش أسامة ص ٢٨) .

لقد أرسل أبو بكر الصديق رضي الله عنه كثيراً من كبار الصحابة يقودون المعارك ضد المرتدين ثم في الجبهتين الفارسية و الرومية أمثال أبي عبيدة و معاذ بن جبل و خالد بن الوليد و غيرهم إلا أنه أبقى عمر الفاروق بجواره يستشيره في أمور المسلمين السياسية و الاجتماعية ، فكان الفاروق رضي الله عنه هو المستشار الأول و لذلك لما أحسّ بدنو أجله استخلفه على الأمة و قد وافقه جميع الصحابة من المهاجرين و الأنصار رضي الله عنهم أجمعين .

---

[٤٦] - (الخلفاء الراشدون / ٣٩) .

الأعمال الجليلة في العهد الفاروقي

لقد قام خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم و الذي لقب فيما بعد بأمير المؤمنين بأعمال جليلة في العهد الذي امتد لمدة عشر سنوات و نصف و هي كالتالي :-

١- تكميل فتح العراق .

٢- فتح فارس و التوغل في بلاد الأفغان و التركستان إلى نهر جيحون (أمودريا)

٣-تكميل فتح الشام .

٤- فتح مصر و طرابلس الغرب .

٥-تمصير المدن (البصرة و الكوفة و الفسطاط) .

٦- نشر التعليم الإسلامي .

٧- تحديد التاريخ الإسلامي .

٨- تنظيم الإدارة العامة (إنشاء الدواوين ، تنظيم الجيش الإسلامي ، و إنشاء بيت المال ، إقامة دور الضيافة ، تنظيم الشؤون التجارية و مراقبة الأسواق ، و إنشاء السجون ، حفر الآبار و الترع ، تمهيد الشوارع ، و تنظيم شؤون البريد) .

١- تكميل فتح العراق

لما غادر خالد بن الوليد جنوب العراق ولّى المثنى بن حارثة الشيباني قيادة الجيش المتبقي و قد كان قبل خالد على هذا المنصب .

لما رأى المثنى كثرة الجيش الفارسي جاء إلى المدينة يطلب المدد ، و كان أبو بكر في مرضه الأخير و قد استُخْلِفَ عمرُ ، فأوصى عمرَ قائلاً : " إذا أنا مُتُّ فلا تمسين حتى تندب الناس لحرب أهل العراق مع المثنى " فلما مات رضي الله عنه ندب عمر المسلمين و ولّى عليهم أبا عبيد بن مسعود الثقفي و كان أول من استجاب لدعوته ، ثم أوصاه بتقوى الله و بمن معه من المسلمين خيراً و أمر أن يستشير أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم ساروا إلى العراق ، ثم أرسل عمر مدداً آخر بقيادة جرير بن عبد الله البجلي قوامه أربعة آلاف مقاتل فساروا حتى وصلوا قرب مكان الكوفة .

معركة النمارق

و بعث رستم قائد الجيش الفارسي جيشاً لقتال أبي عبيد الثقفي فالتقى الجيشان في النمارق بين الحيرة و القادسية و كان على خيل المسلمين المثنى بن حارثة فهزم الفرس و ولّوا الأدبار و ساروا إلى كسكر فلحقهم أبو عبيد ثم هزمهم ثانية و فرّ الفرس إلى المدائن .[٤٧]

[٤٧] - (التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ج / ٣-٤ ص/١٦٩) .

معركة الجسر

ثم حدثت معركة على جسر الفرات في شهر شعبان ١٣هـ قرب البويب و استشهد فيها أبو عبيد الثقفي و جرح المثنى ، تلاها معركة أخرى في البويب قتل فيها قائد الفرس مهران و ذلك في رمضان عام ١٣هـ و بعده اتفق الفرس المختلفون فيما بينهم على تمليك يزد جرد بن شهريار بن كسرى .[٤٨]

معركة القادسية عام ١٤هـ

وصلت الأخبار إلى المدينة المنورة بتحشد الفرس في المدائن فحث عمر الفاروق رضي الله عنه على الجهاد و خرج بنفسه على رأس الجيش من المدينة و ولّى علي بن أبي طالب مكانه[٤٩] و استصحب معه عثمان بن عفان و الزبير و عبد الرحمن بن عوف و كبار الصحابة حتى وصل إلى ماء يقال له الصرار فعقد مجلساً استشارياً و أرسل إلى عليّ أن يأتي من المدينة ، و هناك تم اختيار سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ليقود الجيش إلى العراق فكتب إلى المثنى بن حارثة و جرير بن عبد الله البجلي أن يطيعاه و جعل جميع الأمراء الموجودين

[٤٨] - (التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ج / ٣-٤ ص/ ١٧٢) .

[٤٩] - (توليته عليّاً يدل على أنه كان مؤتمناً و محبوباً لديه لا مبغوضاً و لا عدواً و كان رضي الله عنه يعترف بمكانته و يعرف فضله لا كما يظن و يزعم أعداء الإسلام) .

في العـراق تحت إمرتـه و لكـن المثـنى رضـي الله عنه قـد تـوفي قبل وصول سعد إلى القادسية لجـرح أصابـه يوم الجسـر .

و قـد أوصـى عـمـر رضـي الله عـنـه سعـداً قـائلاً : يـا سَعـد سعـد بـنـي وهيب لا يغـرّنـك مـن الله أن قيل : خال رسول الله و صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله لا يمحو السيِّءَ بالسيِّءِ و لكن يمحو السيِّءَ بالحَسَنِ ، و ليس بين الله و بين أحـد نسب إلا طاعته ، فالناس شـريفهم و وضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم و هم عباده ، يتفاضلون بالعافية و يدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيتَ رسولَ الله صلـى الله عليه و سلم منذ بُعِثَ إلى أن فارقنا فالزمه فإنـه الآمِـر ، هـذه عظـتي ، إيـاك إن تركتـها و رغبت عنها حبط عملك و كنت من الخاسـرين . [٥٠]

زحف سعـد بن أبي وقاص رضـي الله عنه إلى القادسية و قـد بلـغ عـدد المقاتلـين إلى ٣٥,٠٠٠ فيهم أكثر من ثلاثمـائـة من الصحابـة و بينهم أكثر من سبعـين من أهـل بـدر . [٥١]

لما عسكر سعـد في القادسية أرسل حسب أمر عمر أربعة عشر رجلاً من خيار المسلمين أمـيرهم النعمان بن مقـرّن رضي الله عنه إلى يزد جرد ملك الفرس يدعونـه إلى الإسـلام ، فخرجوا من العسكر حتى جـاءوا المدائن فاستأذنوا بالدخول على الملك فأذن لهم و مع يـزد جـرد وزراءه و وجهاء بلده ، فلما دخلوا عليه أمـرهم بالجلوس ثم تكلّم النعمان و شرح

[٥٠] – (تاريخ الطـبري ٣ / ٤٨٣) .

[٥١] – (التاريخ الإسلامي ٣ /١٧٢) .

له مبادئ الإسلام ثم قال له : ندعوكم إلى الإسلام و هو دين حسّن الحسن و قبّح القبيح كلـه . فإن أجبتم إلى ديننا خلّفنا فيكم كتابَ الله و أقمناكم عليه علـى أن تحكـموا بأحـكامـه و نـرجـع عنكـم و شأنكـم و بـلادكـم ، فإن أبيتم الـدخول في ديننا و وافقتم على دفـع الجـزية قبلناها و منعناكـم ، فـإن أبيتم قاتلناكـم .

ردّ عليه يـزد جـرد ردّاً قبيحـاً ، كلـه مكـر و خـديعـة و تكـبر .

ثم تكلّم المغـيرة بن زرارة الأسيدي و أكـد ما قاله النعمان شارحـاً غرض بعثة النبي صلى الله عليه وسلم و ختمه بقوله : " فندعـوكـم إلى هذا الدين فإن قبلتم فلكم ما لنا و عليكم ما علينا فإن أبيتم فتدفعوا الجزية عن يد و أنتم صاغرون و إن أبيتم فالسيف يفصل بيننا و بينكم" . فغضب عليه يزد جرد و قال : لولا أن الرسلَ لا تُقْتَلُ لَقَتَلْتُكـم ، لا شـيء لكم عندي ، ارجعـوا إلى صاحبكـم فأعلموه أنـني مرسـل إليكـم رستم حتى يـدفنكـم في خندق القادسية . [٥٢]

و حسب أوامر يزد جرد تقدم رستم قائداً للجيش الفارسي و قوامـه ١٢٠,٠٠٠ مقـاتـل ، معهـم ٣٣ فيلاً يتقـدمها فيل أبيض و عليه سرير رستم و عسكروا في القادسية أمام جيش المسلمين . و أرسل سعد جماعـة من سادات المسلمين إلى رستم يدعونـه إلى الله تعالى و كان بينهم النعمان ابن مقرن و المغيرة بن شعبة و عمرو بن معديكـرب و غـيرهم

[٥٢] – (مختصراً عن تاريخ الطبري ج ٣ / ص ٤٩٨ – ٥٠٢) .

فذهبوا و كلّموا رستم و أخبروه عن مبادئ الإسلام و عرضوا عليه الإسلام أو الجزية أو الحرب ثم رجعوا .

و في اليوم الثاني طلب رستم مرة ثانية من سعد إرسال رجل آخر ، فأرسل إليه ربعي بن عامر فسأله : ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله و من ضيق الدنيا إلى سعتها و من جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسَلَنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه و رجعنا عنه و من أبى قاتلناه ، ثم طلب رستم رجلاً آخر فأرسل حذيفة بن محصن فتكلّم على النحو الذي تكلّم به ربعي ابن عامر . و تكرر الطلب في اليوم الثالث فأرسل إليه سعد المغيرة بن شعبة فأعاد عليه كلامه : الإسلام أو الجزية أو الحرب .

فازداد رستم غضباً و أقسم بالشمس قائلاً : لأقتلنكم غداً ، و أمر جيشه بالتهيؤ . و في اليوم التالي تصافّ الجيشان و استعدوا للقتال .

و كان سعد بن أبي وقاص مريضاً به دماميل لا يستطيع الجلوس و الركوب ، لذا فقد جلس في بيته (الذي بُني له لقيادة الجيش) متكئاً على صدره فوق وسادة ، ينظر إلى الجيش ، يدبر أمره و يصدر تعليماته إلى خالد بن عرفطة ، و هو يبلغ الآخرين .

بدأت المعركة بعد أن صلّى سعد الظهر بالناس و خطب فيهم و حثهم على القتال ، و استمر القتال حتى الليل ، ثم استؤنف في اليوم الثاني و لمدة ثلاثة أيام ، و في اليوم الرابع اشتد أثر الفيلة الفارسية على الجيش الإسلامي إذ كانت الخيول تنفر منها ، و هذا هو الأمر الذي جعل الصحابة

يوجهون اهتمامهم إليها حتى قتلوها مع من عليها ، و قد أبلى جرير بن عبد الله البجلي و القعقاع بن عمرو التميمي و طليحة بن خويلد الأسدي و عمرو بن معديكرب الزبيدي و خالد بن عرفطة و ضرار بن الخطاب رضي الله عنهم بلاءً كبيراً إذ كانوا يقلعون عيون الفيلة فتشرد بمن عليها ثم تقتل و يقتل أصحابها ، فلما كان الزوال من ذلك اليوم الذي عرف بالقادسية و هو الإثنين ١٤/١/١٤هـ هبت ريح شديدة على الفرس فأزالت خيامهم فبدءوا في الفرار . و قد قَتَل القعقاعُ بن عمرو و هلالُ بن علقمة التميمي رستمَ قائدَ الجيش الفارسي فانهارت معنوياتهم و فرت جماعة منهم و لحقهم المسلمون حتى دخلوا وراءهم مدينة المدائن (مركز الحكم و مقر يزد جرد بن شهريار ملك فارس) .[٥٣]

انتصر المسلمون على فارس بعد أن قدموا ٨٥٠٠ شهيد . و بلغ عدد قتلى فارس ٨٠,٠٠٠ .

كتب سعد إلى عمر ببشرى الفتح ، و كان عمر قد أهمه أمر القادسية فكان يخرج من المدينة كل يوم يتنسّم الأخبار و يرجع عند منتصف النهار إلى منزله . و في اليوم الذي ورد فيه البشير ، لقيه عمر فسأله من أين ؟ فقال : من القادسية . فقال : يا عبد الله حدّثني ؛ قال : هزم الله العدو و عمر يجري وراءه و يستخبره و البشير على ناقته و لا يعرفه ، حتى دخل المدينة فإذا الناس يسلمون عليه بالخلافة ، فقال الرجل :

---

[٥٣] – (التاريخ الإسلامي ج٣ ص٦/ ١٧٧) .

فهلاّ أخبرتني ــ رحمك الله ــ أنك الخليفة ، فقال عمر : لا بأس عليك يا أخي ، ثم أخذ الكتاب و قرأه على الناس فاستبشروا و شكروا الله على ما أنعم على المسلمين من الفتح و الغنيمة .

و بهذه المعركة الفاصلة أيّد الله سبحانه و تعالى دينه و رفع كلمته و هابت العربُ و العجمُ المسلمين و انتشر هَدى الإسلام و عدله و تقلّص ظلام الكفر ، و الشكر و الحمد لله . [٥٤]

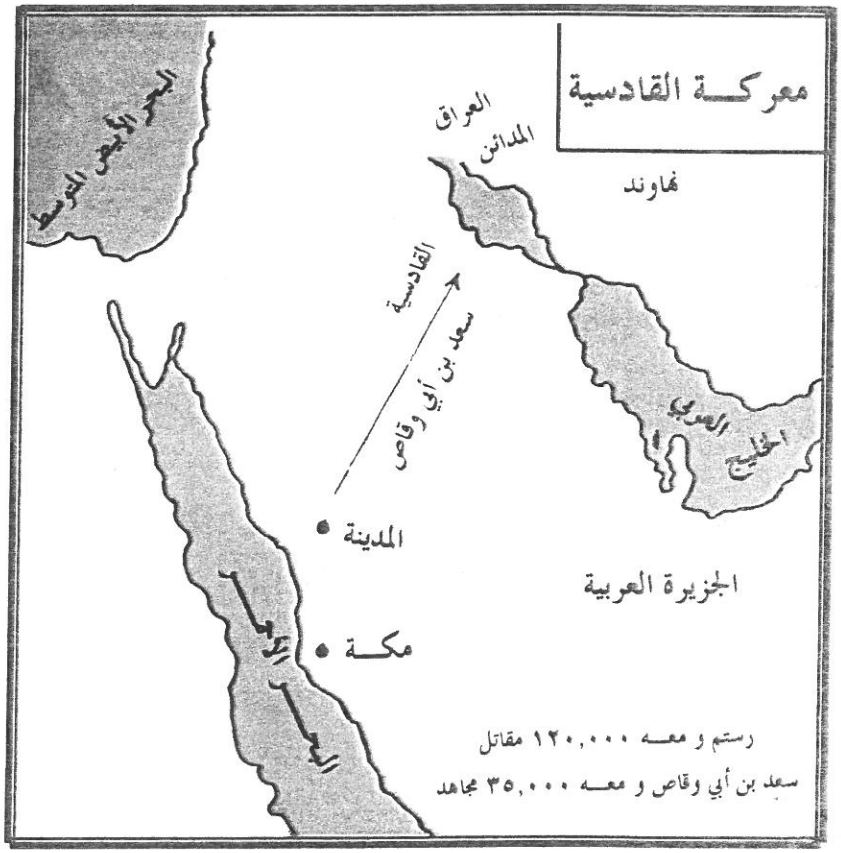

[٥٤] – (الخلفاء الراشدون و الدولة الأموية / ٤٦) .

فتح المدائن عام ١٦هـ

واصل سعد رضي الله عنه زحفه شمالاً و انتقل من نصر إلى نصر حتى وصل إلى نهر شير و هي جنوب نهر دجلة و في شمالها المدائن عاصمة الفرس و قد كان هناك مراكب لعبور الناس إلا أن الفرس قد ضمّوها إلى الشاطئ ، فوقف سعد قليلاً أمام نهر دجلة الغزير العميق و كان هائجاً يقذف بالزبد ، ثم دعا الله تعالى و توكل عليه و أدخل فرسه النهر و تبعه المسلمون و قد ساروا على الماء كما كانوا يسيرون على الأرض يتحدثون مطمئنين و كانت تلك الحادثة كرامة لسعد رضي الله عنه و جنده المؤمنين الصادقين بعد أن بذلوا ما يستطيعونه من أسباب و وصلوا في حفظ الله و رعايته إلى الشاطئ الثاني و لاح لهم القصر الأبيض (قصر كسرى ملك الفرس) ثم دخلوا في المدائن فاتحين بدون مزاحمة و ذلك لأن الفرس أخذهم الرعب و الدهشة لما رأوا المجاهدين يمشون على متن النهر كمشيهم على الأرض فتيقنوا أن لهم قوة فوق القوة البشرية فيغلِبُون و لا يُغلبون و ملك المسلمون كنوزها التي لا تخطر على العقول ، نزل سعد القصر الأبيض و هو يقول : " كَمْ تَرَكُوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَّ عُيُوْنٍ وَّ زُرُوْعٍ وَّ مَقَامٍ كَرِيْمٍ وَّ نَعْمَةٍ كَانُوْا فِيْهَا فَاكِهِينَ كَذٰلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِيْنَ "[٥٥] . و صلى سعد صلاة الجمعة في الديوان و جعله مسجداً و كانت أول جمعة أقيمت في المدائن و ذلك في شهر صفر عام ١٦ هـ .

[٥٥] – (سورة الدخان ٢٨/٢٥) .

ثم جمع سعد الغنائم و أرسل الخُمْسَ إلى المدينة و فيها كنوز كسرى من التاج و الأسورة و الملابس و الحلى و غيرها و لما رأها عمر رضي الله عنه قال : إن قوماً أدّوا هذا لأمناء . فقال له عليٌّ رضي الله عنه : " إنك عَفَفْتَ فَعَفَّتِ الرعيةُ و لو رَتَعْتَ لرَتَعَتْ " . [٥٦]

ثم دَعا عمر رضي الله عنه سراقة بن مالك بن جعشم و ألبسه سوارَى كسرى و قال : الحمد لله سوارا كسرى ابن هرمز في يدي سراقة بن مالك أعرابي من بني مدلج . و هو يشير بذلك إلى وعد رسول الله صلى الله عليه و سلم لسراقة حين قابله في طريق هجرته إلى المدينة و معه أبو بكر رضي الله عنه [٥٧] .

****

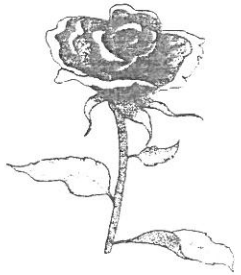

[٥٦] – (التاريخ الإسلامي ٣ / ١٧٨) .

[٥٧] – (حياة الصحابة ٢ / ٢٦٢ ــ نقلاً عن البيهقي ٦ / ٣٥٨) .

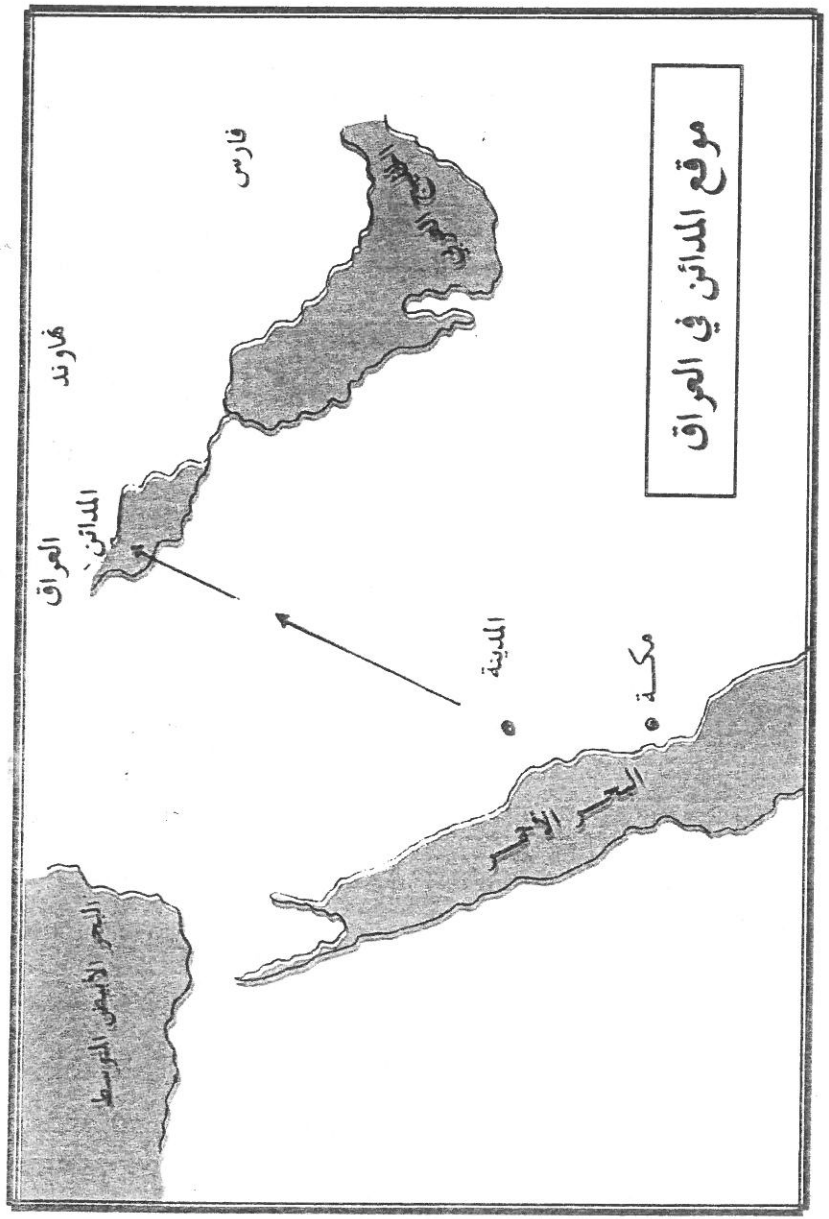

٢- فتح فـــارس

موقعة نهاوند " فتح الفتوح " سنة ٢١ هـــ

بعد أن فتح المسلمون المـــدائن عاصمة الفـــرس فـــرّ يزد جرد إلى حلوان و منها إلى الريّ (طهران اليوم) ثم بدأ يجمع المنهزمين من الفرس في نهاوند حتى وصلوا إلى مائة و خمسين ألف مقاتل . وصلت هـــذه الأخبار إلى أمـــير المؤمنين و قـــد رغب أن يســـير بنفسه إلا أن كبار الصحابـــة رأوا غـــير ذلك فعـــدل عن رأيـــه و كان الـــذي أقنعـــه بـــذلك عليّ ابن أبي طالب رضـــي الله عن الجميع [٥٨] .

فكتب رضـــي الله عنه إلى حذيفـــة بن اليمان أن يسير إلى نهاونـــد بجند الكـــوفـــة و كتب إلى أبي موسى الأشعـــري أن يســـير بجند البصرة و إلى النعمان بن مقرّن أن يسير بجنده ، فإذا التقوا فكل على جنده أمـــير و على الجميع النعمان بن مُقرّن فإن قتل النعمان فحذيفـــة بن اليمان .

وصل المسلمون إلى نهاوند و لا يزيد عددهم عن ثلاثين ألفاً ، بدأت المعركة بين المسلمين و الفرس و لاحت بوادر النصر و أيقن المجوسُ الهزيمـــةَ فتحصّنوا داخل المدينة خلف الخنادق و الأسوار . فحاصـــرهم المسلمون ، و لما طـــال الحصار استشار النعمان ذوي الـــرأي من جيشـــه ، فأشـــار طليحة بن خويلـــد الأسدي على إرسال طليعة من المسلمين إلى الفـــرس . و هذه الطليعة تستفـــزّ المجوس و تغيظهم فإذا غضبوا و خرجوا للمواجهة

[٥٨] - (و إقناع عليّ لأمـــير المؤمنين و اقتناعـــه برأيـــه أوضـــح دليل على توادّهما و تصادقهما و أن كل واحـــد منهمـــا كان محبوبـــاً لـــدى الآخـــر) .

فيُظهر المسلمون الانهـــزام و يتراجعون إلى الوراء و هم سوف يلاحقونهم ظناً منهم أنهـــم هـــزمـــوا ، فإذا ابتعـــدوا عن حصونهـــم ، يكُـــرُّ عليهم المسلمون . وافـــق النعمان على رأيْ طليحـــة و أمر القعقاع أن يذهب مع نخبة من المسلمين لهـــذه المهمـــة .

نجحت هـــذه الخطة و خرج الفرسُ يطاردون المسلمين حتى وصلوا إلى المعسكر و هناك ــ و قد زالت الشمس و هبت الرياح ــ كبّر النعمان ثلاث تكبيرات ثم بـــدءوا القتال و حميت المعركة و قَتَل القعقاعُ بن عمرو قائـــدَ الفـــرس الفـــيرزان و لما لاحت بـــوادر النصر أصاب النعمانَ سهمٌ في خاصرته و زلقتْ فرسه فسقط و استُشْهد إنا لله و إنا إليه راجعون .

و أخـــذ الرايـــة أخوه نعيم بن مقرّن و سلمها إلى حُذيفـــة بن اليمان و أخفوا مصرع النعمان و انتهت المعـــركـــة بانتصار المسلمـــين و قتل من الفرس ما يـــزيـــد عن مائـــة ألف ، و دخل المسلمون في نهـــاونـــد و احتووا مـــا حولهـــا و كانـــوا يسمون فتـــح نهـــاونـــد فتح الفتوح لأنـــه لم يكـــن من قبلـــه فتح مثلـــه .

و جـــاء البشير و هو السائب بن الأقرع رضي الله عنه فسأله عمر : ما وراءك يا سائب ؟ قـــال : خـــيراً يا أمـــير المؤمنين ، فتـــح الله عليك بأعظم الفتح و استُشْهد النعمان ، فقال عمر :" إنا لله و إنا إليه راجعون " ثم بكى بكاءً مريراً ثم قال : و من ؟ قال البشير : فلان و فلان و آخرون يا أمـــير المؤمنين لا تعرفهم ، فبكى و قال : لا يضرهم بأن لا يعرفهم عمر و لكـــن الله يعـــرفـــهم و قـــد أكـــرمهم الله بالشهادة .

بعد فتح نهاوند لم تقم للمجوس قائمة و تتابع الفتح الإسلامي لبلاد فارس ، ففتحت همدان و الريّ و قومس و جرجان و طبرستان و هراة و مرو و بلخ جنوب نهر جيحون (و قد نهى عمر عن عبور النهر) و اصطخر و شيراز و كرمان .[٥٩]

خارطة فارس و موقع نهاوند

[٥٩] – (بالإختصار من كتاب التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ج ٣ و التاريخ الإسلامي دروس و عبر للدكتور عبد العزيز الحميدي ج ٥ / ٦ و محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية المجلد الأول و الخلفاء الراشدون و الدولة الأموية) .

أثر الفتح الإسلامي في بلاد الفرس

كان انتصار المسلمين على الفرس مبدأ عهد جديد في تاريخهم ، فلقد حمل المسلمون الفاتحون معهم مبادئ الإسلام خالصة نقية إلى هذه البلاد و هي مبادئ التوحيد و العدل و الخلق القويم ، فسعد الناس فقيرهم و غنيهم ، و استردّ المظلومون حقوقهم فأبصروا النور بعد طول ظلام و انتشر علم كتاب الله و سنةِ رسوله صلى الله عليه وسلم فاستقامت العقائد و الأعمال .[٦٠]

٣ – تكميل فتح الشام

فتح دمشق (رجب عام ١٤ هـ)

تم حصار مدينة دمشق في المرة الأولى عند مرور خالد بن الوليد بدمشق و هو في طريقه من العراق إلى الشام حيث أصبح أميراً على الشام و قد انضمّ إليه أبو عبيدة بجيشه و قد قطع هذا الحصارَ تجمّعُ الروم في أجنادين حيث ذهب خالد و أبو عبيدة و بقية القواد و قاتلوا الروم في أجنادين في شهر جمادى الأولى عام ١٣ هـ كما سبق .

و خلال الحصار الثاني لدمشق بعد أجنادين ، جاء خطاب عمر يخبر أبا عبيدة بوفاة أبي بكر و توليته الخلافة و عزلِ خالد عن القيادة العامة و تولية أبي عبيدة على الشام و ذلك في شهر رجب ١٣هـ و قد قطع هذا الحصارَ توجُّهُ أبي عبيدة وغيرِه إلى فلسطين حيث أعد الروم جيشاً كبيراً

[٦٠] – (التاريخ الإسلامي و الدولة الأموية / ٥٦) .

في فحل و جرت فيها معركة صارمة بين الجيشين ، كتب الله النصر للمسلمين و انهزم الروم شر هزيمة . و ذلك في شهر ذي القعدة ١٣هـ .

و في المرة الثالثة فتحت دمشق و فيما يلي تفصيله :

توجه أبو عبيدة إلى دمشق و قد جعل خالد بن الوليد في القلب و سار هو في الميسرة و معه يزيد بن أبي سفيان و جعل عمرو بن العاص في الميمنة و معه شرحبيل ابن حسنة ، و وصلوا إلى دمشق من ناحية الشرق و حولها سور عال ارتفاعه ستة أمتار و سماكته خمسة أمتار و خارج السور خندق عميق فيه ماء غزير فكان لابد من السباحة لمن أراد الوصول إلى الباب .[٦١] و حاصروها من كل جانب . فكان خالد بن الوليد على الباب الشرقي و حتى باب كيسان و يزيد بن أبي سفيان على الباب الصغير و أبو عبيدة على باب الجابية من جهة الغرب و عمرو بن العاص على باب توما و شرحبيل على باب السلام ، استمر الحصار الشديد سبعين يوماً ، و ولد للبطريق ــ قائد الروم ــ مولود فصنع طعاماً لأهل دمشق فأكلوا و شربوا و باتوا ليلتهم تلك سُكارى ، و كان خالد لا ينام و لا ينيم و يتجسس الأخبار ، و قد اتخذ من الحبال سلالم و رماها إلى شُرَف السور ثم عبر الخندق هو و القعقاع بن عمرو و مذعور بن عدي ثم صعدوا على السلالم فلما صاروا أعلى السور رفعوا أصواتهم بالتكبير لإرهاب العدو ثم نزلوا إلى الداخل و انحدروا إلى الباب فقتلوا البوابين و قطعوا أغلاق الباب بالسيوف

---

[٦١] – (التاريخ الإسلامي دروس و عبر ٥ / ٣١٣) .

و فتحوه للمسلمين ، و انطلق خالد مع جنده يقتل من يقف في وجهه متوجهاً إلى مركز المدينة و أسرع وجهاءها نحو بقية الأبواب و خاصة نحو الغرب حيث باب الجابية خوفاً من أن ينالهم القتل و هم يعلنون استسلامهم و يطلبون الصلح . و دخل بقية قادة المسلمين و جيوشهم من الأبواب الأخرى و قد وافق أبو عبيدة على الصلح ثم طلب من خالد الكَفَّ عن القتال و التقوا جميعاً عند المقسلاط (قرب سوق النحاسين اليوم) .

ولّى أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبي سفيان و سيّر شرحبيل ابن حسنة إلى الأردن و عمرو بن العاص إلى فلسطين أي سار كلٌ من الأمراء إلى المنطقة التي كانت وجهته الأولى إليها .

****

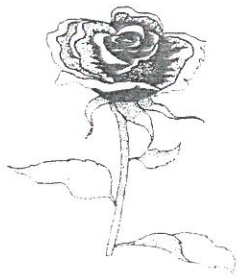

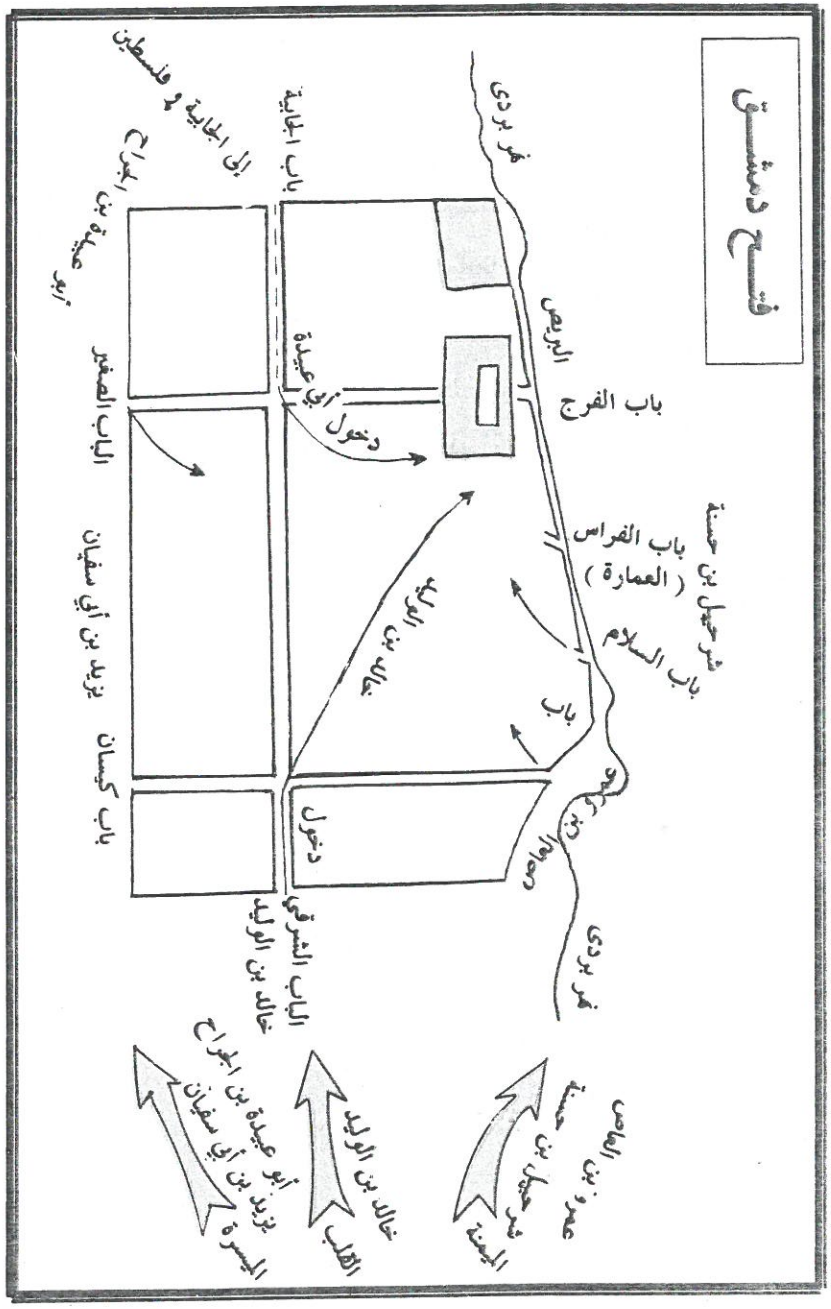

عزل خالد بن الوليد عن القيادة العامة

كما مرّ في الدرس السابق أنه لما تولى عمر الخلافة أصدر مرسوماً إلى أبي عبيدة يوليه على الجيوش في الشام و يعزل خالداً و ذلك في شهر رجب عام ١٣هـ .

و لا يخفى على أحد أن أبا عبيدة كان قائداً على أحد الجيوش الأربعة التي وجهت إلى الشام في مطلع السنة الثالثة عشر ، كل إلى جهة خاصة (حمص و دمشق و الأردن و فلسطين) و إذا اجتمعت الجيوش فالقيادة العامة لأبي عبيدة .

و قد سبق أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه طلب من خالد مغادرة العراق و التوجه إلى الشام و استلام القيادة العامة من أبي عبيدة . و تنازل أبو عبيدة بناءً على خطاب الخليفة طائعاً مختاراً . و بعد ستة أشهر يأتي خطاب الخليفة الثاني يعيد أبا عبيدة إلى منصبه .[٦٢]

أبو عبيدة يستلم الخطاب و لكن يتأخر في إبلاغ خالد إيثاراً للمصلحة العامة حتى تنقضي المهمة التي خطّط لها خالد . علم خالد بأمر عزله فأقبل حتى دخل على أبي عبيدة فقال : يغفر الله لك ، أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تعلمني و أنت تصلي خلفي و السلطان سلطانك ؛ فقال أبو عبيدة : و أنت يغفر الله لك ما كنتُ لأعلمك ذلك

---

٦٢ – (و قد كتب الخليفة إلى الأمصار أني لم أعزل خالداً عن سخطة و لا خيانة و لكن الناس فتنوا به فخفت أن يوكلوا إليه و يبتلوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع و أن لا يكونوا بعرض فتنة).(الطبري ٦٨/٤) — (مواقف و عبر ٦/ ١٤٧) .

حتى تعلمه من عند غـيري . و ما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضي ذلك كلـه ثم قـد كنتُ أعلمك إن شاء الله . و ما سلطان الـدنيا أريد و ما للـدنيا أعمل و إن ما تـرى سيصير إلى زوال و انقطاع . و إنما نحن إخوانٌ و قُـوّام بأمـر الله ، و ما يضـر الرجلَ أن يَلِـيَ عليه أخـوه في دينه و لا دنياه . ثم دفع أبو عبيدة كتاب عمر إلى خالـد .[٦٣]

فتنازل خالـد ممتثلاً لأمـر الخليفة ، جندياً مطيعاً لأبي عبيدة يتوجـه حينما وجهه و لا شك أن خـالـداً بقي عند أبي عبيدة في أعلى مكانـة ، فكان لا يتقدم خطوة إلا بمشورة خالـد ، حتى كأن خالـداً لم يفقد شيئاً من سلطته الأولى ، و خالد لم يبخل بخالص الرأي و المشورة على أبي عبيدة ، فكان وضعهما الإداري طيلـة عملهما في أعلـى وضع يمكـن أن يتصوره الإنسان من مـكارم الأخلاق . هـذه الأخوة الإسلامية ، إذا استحكمت في النفوس ظهـرت آثارهـا الحميدة في بناء المجتمـع الصالح و حمايتـه من أسباب الانهيار و ما هذه المواقف الإسلامية التي نشيد بها إلا أثر من آثار تمكن الأخوة الإسلامية في قلوب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين[٦٤] .

****

[٦٣] – (تاريخ دمشق ١٢٦/٢)

[٦٤] – (التاريخ الإسلامي مواقف و عبر ج ٥ / ص ٢٨٢) .

معركة اليرموك[٦٥] (عام ١٥ هـ الموافق ٦٣٦م)

تعتـبر معركـة الـيرموك من المعـارك الفاصلـة في العهـد الـراشـدي ، وقعت في شهر رجب عام ١٥هـ ، و هـي آخـر المعارك الكـبرى في الشام .

لما رأى هرقل تَوغُّـلَ المسلمين في بلاد الشام و انتصارهم على الروم أرسل إلى رومية ، و إلى القسطنطينية ، و إلى من كان من جنوده و على دينه من أهل الجـزيرة و أرمينيا ، وكتب إلى عمّالـه أن يَحْشُـروا إليه كلَّ من كان أدرك الحلم من أهل مملكته فما فـوق ذلك إلى الشيخ الفاني ، فأقبلوا إليه و جـاء منهم ما لا تحملـه الأرض .

و دعـا بـاهـانَ وكان من عظماء الروم و أشـرافـهم فعقـد له على ٢٤٠,٠٠٠ مقاتل و هكـذا سعى هرقل في جمع هـذا الجيش العظيم و قـرّر أن يخوض آخر معركة مع المسلمين و أمرهم بالزحف إلى الواقوصة و هـي على ضفـة الـيرموك .

و الـيرموك نهـر ينبع من مرتفعات الجولان و يصب في نهر الأردن جنوب بحـيرة طـبريـة . توجهت الجيوش الإسـلامية إلى الـيرمـوك مع قوادهم : أبي عبيدة و خـالـد و عمرو و يـزيـد و شرحبيل ،

[٦٥] – (اختلف المؤرخون في تاريخ حـدوثها فقال سيف بن عمر الضبي و اعتمده ابن جرير الطبري أنها وقعت في شهر جمادى الثانية عام ١٣ هـ ، بينما يقول جمهـور المؤرخـين أنها في شهر رجب عام ١٥هـ و ممـن قال بذلك ابن إسحاق و الواقدي و الأزدي و ابن الكلبي و البلاذري و ابن عساكر . و قال الإمام الذهبي : نزلت الروم اليرموك في رجب ١٥هـ ، و قيل سنة ثلاث عشرة و أراه وهماً) .

و القيادة العامـــة لأبي عبيدة . استشار أبو عبيدة القواد و بعـــد الاستماع إلى آرائهم و بناءً على طلب خالـــد بن الوليد ،[٦٦] فوّض إليه أمـــر القيادة و أمـــر الآخـــرين بإطاعتـــه .

فقسم خـــالـــد رضي الله عنه الجيش الإسلامي البالغ ٣٦٠٠٠ مقاتل إلى ٣٦ كردوساً و جعل على كل كردوس رجـــلاً من شجعان المسلمين ، اشترك في هذه المعركـــة أكثر من ألف صحابي بينهم مائة من أهل بـــدر ، ثم قسم الجيش إلى ثـــلاثـــة أقسام رئيسيـــة .

١- القلب ــ و على مقدمته سعيد بن زيـــد و معه القعقاع بن عمرو و عكرمـــة بن أبي جهل و على مؤخرتـــه أبو عبيدة .

٢- الميمنة ــ و عليها عمـــرو بن العـــاص و معـــه معـــاذ بن جبل على الـــرجـــالـــة و خـــالـــد بن الوليد على الخيل .

٣- الميسرة ــ و عليها يزيد بن أبي سفيان و معه نفاثة بن أسامة الكناني على الـــرجـــالـــة و قيس بن هبـــيرة على الخيل .

[٦٦] - (قـــال خـــالـــد لأبي عبيدة خلّني و الناس و دعـــني و الأمـــر ، و ولّني مـــاوراء بابك فأنـــا أكفيك بـــإذن الله أمـــر هـــذا العـــدو) .

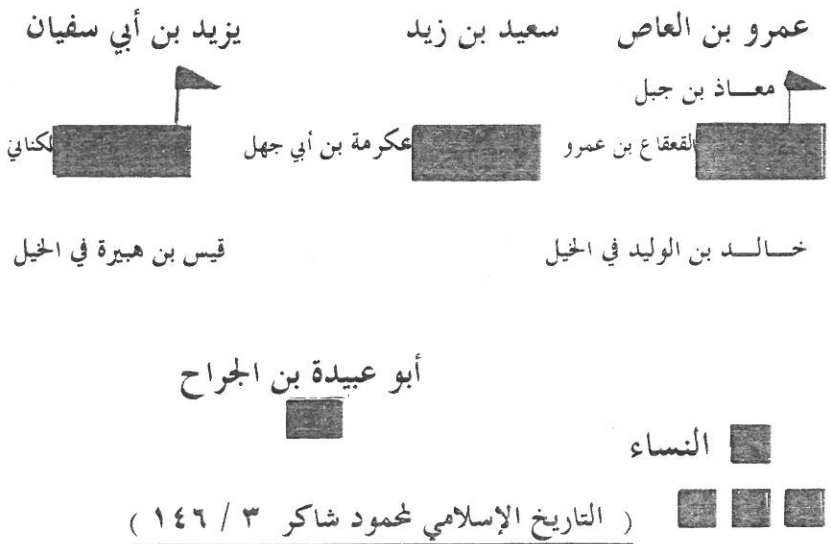

(التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣ / ١٤٦)

تقـــدم المسلمون إلى الميدان و عـــددهم ٣٦٠٠٠ مقاتل يقودهـــم خالد بن الوليد ، يوصـــي بعضهم بعضاً بالحق و صـــدق اللقاء و الصـــبر و رجاء ما عند الله في الجنة ، و أقبلت الروم في خيلائها و فخرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلَها و وعـــرَها كأنّـــهم غمامـــة سوداء ، يصيحـــون بأصـــوات مـــرتفعـــة و رهبانهـــم يتلون الإنجيل و يحثونهـــم علـــى القتال و عـــددهم ٢٤٠,٠٠٠ مقاتل يقـــودهم بـــاهـــان .

لما تقـــارب الناس ، تقـــدم أبو عبيدة و يزيـــد بن أبي سفيان و معهما ضـــرار بن الأزور و الحـــارث بن هشام و أبو جندل بن سهيل و نـــادوا

" إنما نريد أميركم لنجتمع به " فأذن لهم بالدخول على باهان ، فإذا هو جالس في خيمة من حرير فقال الصحابة : لا نستحل دخولها ، فأمر لهم بفَرْش بُسطَ من حرير فقالوا : و لا نجلس على هذه فجلس معهم حيث أحبوا و تراوضوا على الصلح و رجع عنهم الصحابة بعد ما دعوهم إلى الله عز و جل فلم يتم ذلك . [٦٧]

عرض الصحابة على الأعداء الإسلام أو الجزية أو السيف ، فلم يقبلوا الاثنين . إذاً لابد من القتال ، و قابل خالد بن الوليد جرجه (و هو أحد أمراء الروم و في مقدم العسكر و الرجل الثاني يوم اليرموك) و دعاه إلى الإسلام فناقشه فاطمأنّ و شهد بالحق و جاء به خالد إلى خيمته فاغتسل ثم صلّى ركعتين مع خالد ثم اشترك في القتال حتى قتل ــ رحمه الله ــ و لم يصل إلا هاتين الركعتين مع خالد . [٦٨]

بدأت المعركة و اشتدت و دخلت صفوف المسلمين في صفوف الروم و دَوّى صوت عكرمة بن أبي جهل " من يبايعني على الموت " فتقدم إليه حوالي أربعمائة من الفرسان المجاهدين (و سميت هذه الكتيبة بكتيبة الموت) و انقضوا على الروم و استُشْهد أكثرهم و لكن تغير الوضع و انقلب الموقف ، فالروم الذين ظهر لهم الغلبة ، اندحروا و انهزموا و لاحظ خالد رضي الله عنه أن فرسان الروم و عددهم ثمانون ألف فارس يبحثون عن مَنْفَذٍ يَهرَبون منه ، فطلب من عمرو بن العاص أن يخلّي بين الفرسان و بين الهرب فأوسع لهم الطريق

[٦٧] – (حياة الصحابة ١ / ٢١٥) .

[٦٨] – (حياة الصحابة ١ / ٢١٧) .

فخرج منه الروم هاربين ، و حمل المسلمون على المشاة فقتلوهم و هكذا حلت الهزيمة الساحقة بجيش الروم و انجلت عن النصر المؤزر للمسلمين . [٦٩]

و قد قاتلت النساء من ورائهم أشد القتال . [٧٠]

عدد الشهداء في هذه المعركة ٣٠٠٠ و عدد قتلي الروم ١٢٠,٠٠٠ كما يقول الطبري غير ما قتل بالمعركة من الخيل و الرجال [٧١] .

وكان من نتيجة هذه المعركة ازدياد هيبة المسلمين في نفوس أعدائهم و سبب ضعفهم و تفرق صفوفهم و ازداد المسلمون يقيناً على يقينهم و إيماناً على إيمانهم و قد تحققت بشارة المصطفى صلى الله عليه وسلم بميراث قصور الشام . [٧٢]

****

[٦٩] – (التاريخ الإسلامي / ٢٩) .

[٧٠] – (البداية و النهاية ٧ / ٩) .

[٧١] – (محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ١ / ١٩٣) .

[٧٢] – (الخلفاء الراشدون و الدولة الأموية ص ٣١ (من مقررات المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض) .

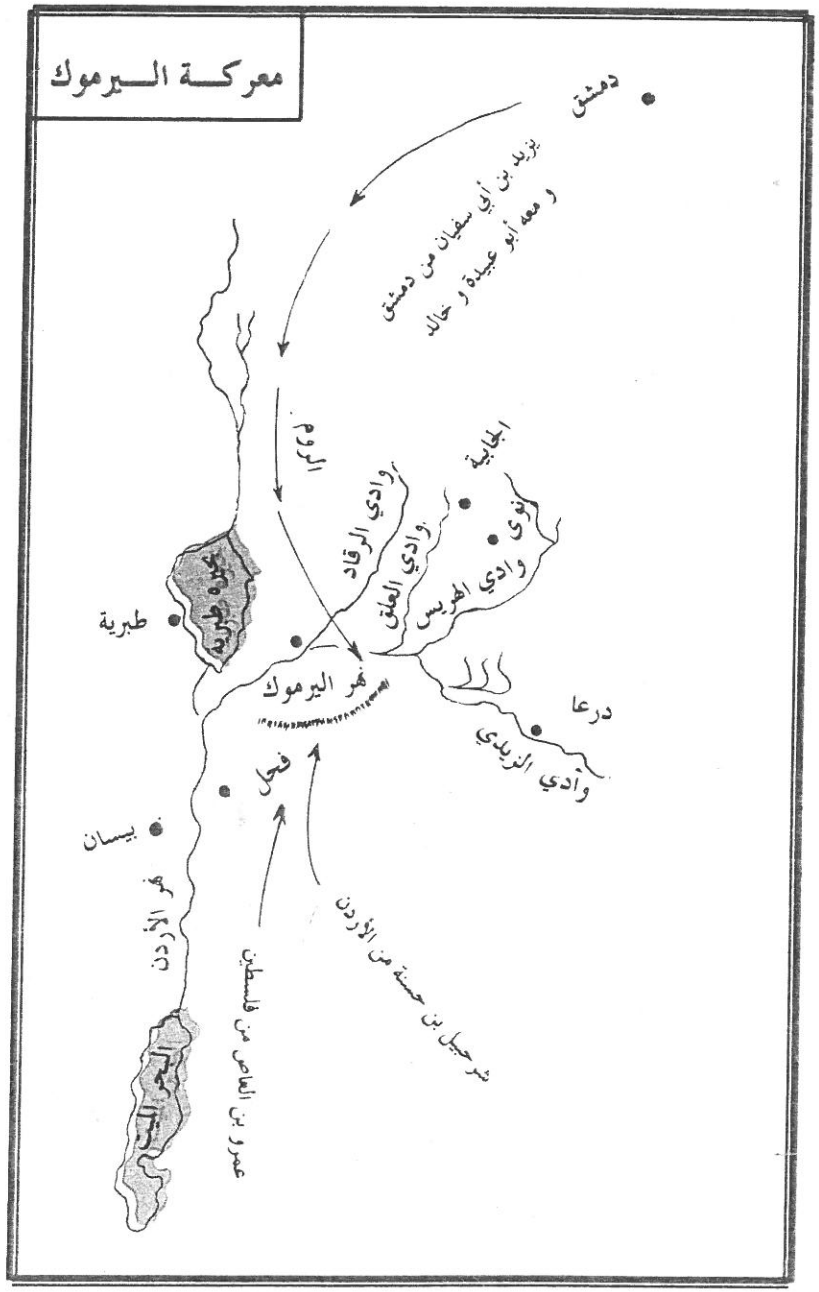

فتح بيت المقدس[٧٣] (رجب ١٦ هـ ٦٣٨م)

بعد معركة اليرموك توالت الفتوحات ففتح خالد قِنَّسْرين و عياض بن غنم حلب و أبو عبيدة إنطاكية و عبادة بن الصامت اللاذقية .

و حينما كان عمرو بن العاص قرب بيت المقدس و قد حاصرها . توجه أبو عبيدة كذلك إلى بيت المقدس دعماً لعمرو بن العاص ، و لما رأى أهل القدس أنه لا طاقة لهم بحرب المسلمين طلبوا الصلح إلا أنهم قالوا لأبي عبيدة : أرسل إلى الخليفة عمر ليأتي إلى بيت المقدس و يعطينا العهد و يكتب لنا الأمان . قبل ذلك منهم أبو عبيدة و كتب إلى المدينة ، لما وصل كتابه إلى أمير المؤمنين جمع رؤوس المسلمين و قرأ عليهم الكتاب ، فرأى عثمان بن عفان أن لا يسير إلى بيت المقدس حتى يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون ، و رأي علي بن طالب خلافه و حثه على السفر ، وافق عمر على رأي عليّ[٧٤] ثم ولاه على المدينة و سافر مع مجموعة فيهم العباس بن عبد المطلب إلى الشام ، استقبله في الجابية أمراء المسلمين أبو عبيدة و خالد و يزيد ، ثم من الجابية ساروا جميعاً إلى بيت المقدس .

---

٧٣ – (تسمى الآن القدس و كانت تسمى اورشلم ثم أيلياء) .

٧٤ – (و هذا أدلّ على أنه كان موثوقاً لديه صديقاً له لا كما تقوله الشيعة المنحرفة) .

الصلح مع نصارى بيت المقدس

قال محمد بن عبد الله الأزدي : حـدثني الحسن بن علي قال : و لما قـدم عمر ضربت له قبة من شعر و جلس فيها على التراب ثم قـام يصلي ، و علت للمسلمـين ضجّـة عظيمة بالتهليل و التكبـير ، فسمع أهل إيلياء ، فأشـرفـوا عليهم لينظـروا شأنهـم ، و نادى واحد منهم يا معشر العرب ما شأنكم ؟ قالوا : إن أمـير المؤمنين عمر قد قـدم علينا من مدينة نبيّنا صلى الله عليه و سلم ، فلما كان الغد و صلّى عمر بالناس صـلاة الفجـر قال لأبي عبيدة : تقـدّمْ إلى القوم و أَعْلِمْهم أني أتيتُ ، قال : فخـرج أبو عبيدة و صاح بهم و قال : إن صاحبنا أمـير المؤمنين قد قَـدِمَ فما تصنعون فيما قلتم ؟ .

قـال : فَأعْلَمُوا البطريـق [٧٥] فخرج من كنيسته و عليه المُسُوح ،[٧٦] و ترجّل الرهبان و القسس و الأساقفة معـه ، و قـد حمل بين يديه صليباً لا يُخـرجـونـه إلا في يوم عيدهم . و تقـدم إزاء أبي عبيدة و قـال : يا هذا الرجل ، إن كان صاحبك قد أتى فَادْعُـهُ يَـدْنُ منا ، فإنا نعـرفه ، و أفـردُوه من بينكـم ، وَ لْيَقِفْ بإزاءنا حتى نراه ، قال : فرجع أبو عبيدة إلى عمر و أخـبره بمـا قـال البطريـق .

[٧٥] - (البطريـق و البطريـرك الرئيس الـديني لدى الطوائف النصرانية و كان اسمـه صفرو نيوس و الجاثليق مساعـده و متقدمـه) .

[٧٦] - (المُسوح كساء من شعـر) .

فهَمَّ عمر بالقيام ، فقال له أصحابه : يا أمير المؤمنين تخرج إليهم منفرداً و ليس عليك آلة حرب ، و إنا نخشى عليك منهم غـدراً و مكراً ، فينالون منك ، فقال عمر : " قُلْ لَّـنْ يُصِيْبَنَا إلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُـوَ مَوْلاَنَـا وَ عَلَـى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَ " . [٧٧]

ثم أمر ببعـيره ، فاستوى عليه ، و سـار بين القوم ، و ليس معه غير أبي عبيدة حتى قرب من السور ، و وقف بإزاء البطريق و الجاثليق .

و تكلم البطريق و قال : هـذا والله الـذي نَجـد صفته ، و يكـون فتح بلادنا على يديـه ، ثم إنـه قـال لأهل بيت المقدس : " انزلوا إليه و اعقدوا معه الأمان و الذمة . هـذا والله صاحب محمد بن عبد الله " .

قال فلما سمعت الروم كلام البطريق نزلوا مسرعين ، و كانوا قد ضاقت أنفسهم من الحصار ، ففتحوا الأبواب و خـرجوا إلى عمر يسألونـه العهد و الميثاق و الـذمـة و يُقـرُّون له بالجـزيـة .

فنظر عمر إليهم ، و خـرّ ساجـداً لله ، و قال : ارجعوا إلى بلادكـم و ذُرِيّكم و لكم الـذمـة و العهد إذا سألتمونا و أقررتم الجـزيـة . [٧٨]

و كتب لهم وثيقـة هـذا نصها : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هـذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهلَ ايلياء من الأمان ، أعطاهـم أماناً لأنفسهـم و أموالهـم و لكنائسهـم و صلبانهـم و سقيمهـا و بريئهـا و سائـر ملتها ، أنـه لا تُسْكَن كنائسهم و لا تُهْـدَم ، و لا ينتقص فيها و لا من حَيِّزِها و لا من صليبهم و لا من شيء من أموالهم و لا يُكـرَهون

[٧٧] - (سورة التوبـة /٥١) .

[٧٨] - (التاريخ الإسلامي مواقف و عبر ٦ / ١٢٩) .

على دينهم و لا يضارُّ أحـدٌ منهم و لا يَسْكُنُ بإيلياء معهم أحد من اليهود و على أهل إيلياء أن يعطوا الجـزيـة كما يعطـى أهل المدائن ، و عليهم أن يخـرجوا منها الروم فمن خـرج منهم فإنـه آمن على نفسه و مالـه حتى يبلغوا مأمنهم ، و من أقام منهم فهو آمن و عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، و من أحب من أهل إيلياء أن يسـير بنفسه و مالـه مع الروم و يُخلّي بِيَعُهُم و صُلُبهم فإنهم آمنون على أنفسهم و على بِيَعِهم و صُلُبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، و من كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد و عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية و من شاء سار مع الروم و من شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخـذ منه شيء حتى يُحْصَـدَ حَصادُهم و على ما في هذا الكتاب عهد الله و ذمة رسوله وذمَّة الخلفاء و ذمَّة المؤمنين إذا أعطوا الـذي عليهم من الجزيـة ، شهـد على ذلك خالـد بن الوليد و عمرو بن العاص و عبد الرحمن بن عوف و معاوية بن أبي سفيان . [٧٩]

و تسمى هـذه الوثيقـة بالعهـدة العمريـة .

لما فُتحت الأبواب لمدينة بيت المقـدس دخلها المسلمون و دخـل أمير المؤمنين المسجـد الأقصى حيث دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم الإسراء و صلى فيه مع المسلمين ثم سار إلى الصخـرة و جعل المسجد في قبلة بيت المقـدس ، و حضرت الصـلاة ، فقال لبلال : ألا تؤذن لنا ــ رحمك الله ــ فقال بلال : يا أمـير المؤمنين أما و الله ما أردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم و لكن سأطيعك اليوم إذ أمرتني

[٧٩] ــ (محـاضـرات تاريخ الأمم الإسـلامية ٢ / ٥ ، ٦) .

في هـذه الصلاة وحـدها ، فلما أذّن بلال ، و سمعت الصحابـة صوتـه ذكـروا نبيّهم صلـى الله عليه و سلم فبكـوا بكاءً شديـداً و لم يكـن من المسلمـين يـومـئـذ أحـد أطول بـكاءً من أبي عبيدة ابن الجراح و معـاذ بن جبل رضـي الله عنهما حـتى قـال لهما عمـر حسبـكما رحمـكما الله . [٨٠]

هـذا الخـبر يبين لنا حب الصحابـة ــ رضـي الله عنهم ــ العظيم لرسول الله صلى الله عليه و سلم حيث بكـوا ذلك البكاء الشديد لذكراه ، و إن هذا الحب العالي من أهم الدوافع التي دفعتهم للتقيد الشديد بسنته و بذلك ظهر تفوقهم في سلمهم و حربهم . [٨١]

فتح بقية مـدن الشام

ثم فتحت مـدن الشام في منطقـة الجـزيـرة مثل الرهـا و الرقـة و حـرّان و نصيبـين و دارا ثم انطلق المسلمون إلى السواحـل ففتحوا قرقيسيا و صور و صيدا و بـيروت و عـرقة و طرابلس الشرق ، و هكـذا تم فتح مـدن الشام كلهـا " إِنَّ الأَرْضَ لِلهِ يُـوْرِثُهَـا مَنْ يَشَـاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ الْعَـاقِبَـةُ لِلْمُتَّقِـيْنَ " . [٨٢]

[٨٠] ــ (فتوح الشام لـلأزدي / ٢٥٦ ، ٢٥٧) .

[٨١] ــ (التاريخ الإسلامي مواقف و عبر ١٢٥/٦) .

[٨٢] ــ (سورة الأعراف / ١٢٨) .

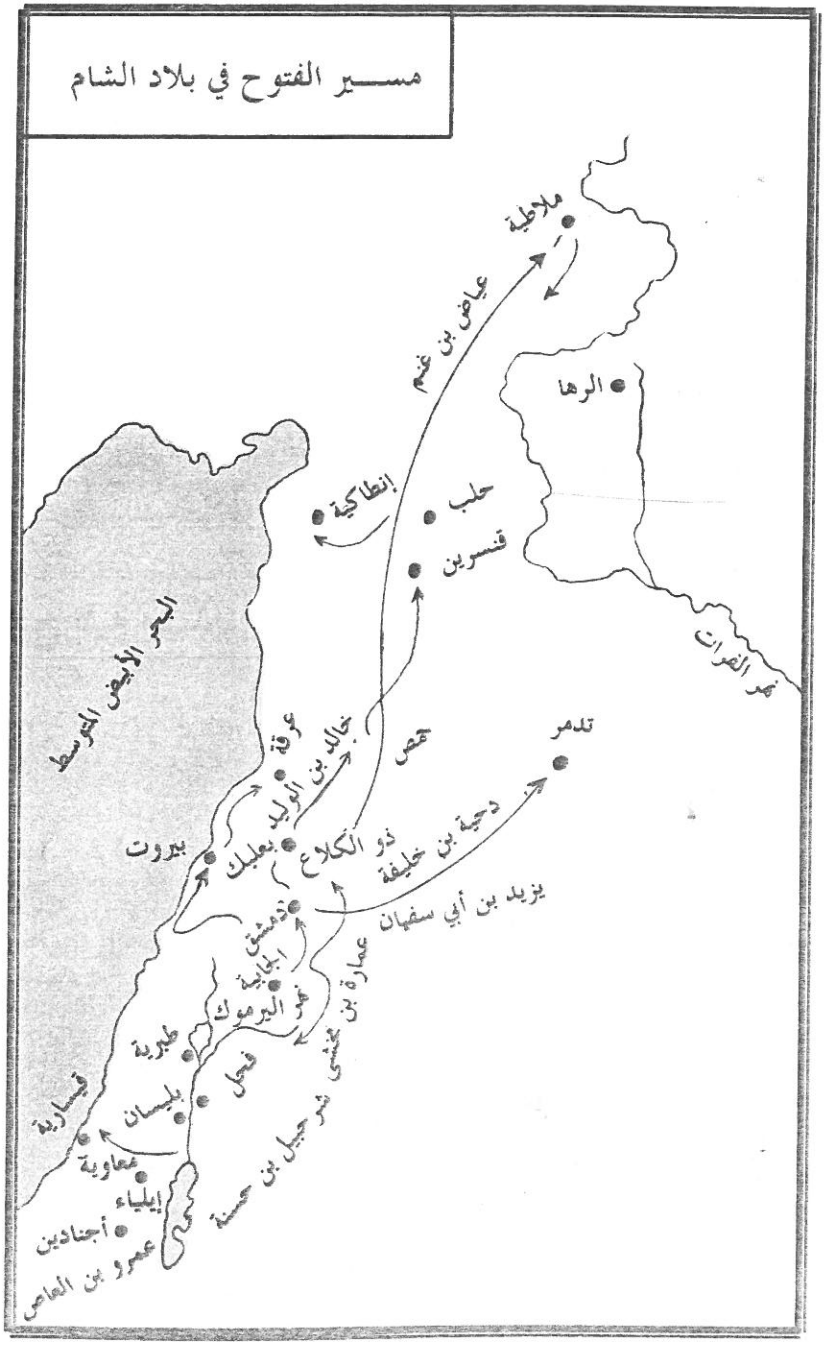

٤ – فتح مصر و طرابلس الغرب (١٩/ ٢٠ هـ)

عمرو بن العاص يتوجه إلى مصر

لما انتهى فتح المسلمين لبلاد الشام و انتهى عمرو بن العاص من فتح بيت المقدس طلب من عمر الفاروق الإذن لفتح مصر فوافق على طلبه .

سار عمرو بن العاص و معه أربعة آلاف من الجنود المسلمين ، وصل إلى العريش بدون مقاومة لعدم وجود حامية رومية فيها ثم تقدم إلى الفرما (موقعها الآن مدينة بورت سعيد) فدعا أهلَها إلى الإسلام فأبوا فعرض عليهم الجزية فلم يوافقوا فحاصرهم حتى فتحها و ذلك في عام ١٩هـ ، و الغريب جداً أن أهل مصر كانوا يساعدون المسلمين و يتمنون سيطرتهم على بلادهم و ذلك أن الروم قد أساءوا إلى الشعب المصري بفرض الضرائب الفادحة حتى لقد وصل بهم الأمر إلى أن فرضوا الضرائب على الموتى ، فلا يسمحون بدفنهم إلا بعد أن يدفع أهلهم الضرائب . و قد سمعوا عن معاملة المسلمين مع أهل الشام وكيف استراحوا من ظلم الروم بعد أن دخلوا في دينهم أو بقوا على نصرانيتهم مع دفع الجزية ، لقد وجدوا من المسلمين كل عدل و إنصاف و وفاءً بالعهد و الميثاق فاطمأنت قلوبهم و هدأت نفوسهم و كأنهم انتقلوا من حياة مليئة بالظلم و القهر ، إلى حياة كلها عدل و رخاء و طمأنينة .

فتح حصن باب اليون

بعد فتح الفرما توجه عمرو إلى بلبيس و عرض على أهلها الإسلام أو الجزية فأبوا ففتحها بعد حصار شهر ، ثم تقدم إلى أم دنين ، فتحصن الرومان في حصن باب اليون و طلب عمرو المدد من المدينة فأمده أمير المؤمنين بأربعة آلاف و استمر حصار المسلمين مدة سبعة أشهر و قد همّ أمير المؤمنين هذا التأخير فأرسل مدداً مرة أخرى قوامه أربعة آلاف تحت قيادة أربعة أبطال من المشاهيرو هم الزبير بن العوام و مَسْلَمَة بن مُخَلَّد و عُبادة بن الصامت و المِقداد بن الأسود و صرّح أمير المؤمنين أن كل واحد منهم يساوي ألف فارس . و هكذا بلغ عدد الجيش الإسلامي اثني عشر ألفاً . و قد كتب إلى عمرو : إعلم أن معك اثنى عشر ألفاً ، و لن يُغلب اثنا عشر ألفاً من قلة .

لما طال حصار حصن باب اليون و أبطأ الفتح على عمرو بن العاص قال الزبير بن العوّام : إني أهب نفسي لله تعالى و أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سُلّماً إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد و أمر المسلمين إذا سمعوا تكبيره يجيبونه جميعاً ، فما شعر أهل الحصن إلا و الزبير على رأس الحصن يكبر و معه السيف ، و تحامل الناس على السلّم حتى نهاهم عمرو خوفاً من أن ينكسر السلّم، وكبّر الزبير تكبيرة فأجابه المسلمون من خارج و ارتجت الأرض فلم يشكّ أهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعاً الحصن فهربوا ، و عمد الزبير بأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه و اقتحم المسلمون الحصن .

هكذا تم الفتح الذي طال انتظاره على يد ليث من ليوث الإسلام و بطل من أبطاله العظماء ، بعد هذا الفتح أمر عمرو بن العاص نزع فسطاطه من ذلك المكان و كان قبالة باب الحصن فلما أراد الجنود نزعه وجدوا عليه عش حمامة قد باضت و أفرخت ، فقال عمرو : اتركوا الفسطاط على حاله ، احتراماً للحمامة التي كانت فيه . [٨٣] و أرسل عمرو بن العاص عبدَ الله بن حذافة إلى عين شمس فغلب على أرضها و صالح أهل قراها مثل صلح الفسطاط .

فتح الإسكندرية

ثم سار عمرو بن العاص إلى الإسكندرية حيث يقيم المقوقس حاكم مصر من قبل الروم فحاصر المدينة و كان فيها أكبر حامية للروم يتجاوز عددها خمسين ألفاً من الجنود مزوّدين بكل ما يحتاجونه في القتال ، و المسلمون لا يبلغون ربع هذا العدد . طالت مدة الحصار إلى أربعة أشهر حتى كتب أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص يتعجب من تأخير الفتح و يحرضه على القتال حتى حدّد له الموعد قائلاً : ..... و ليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فإنها ساعة تنزّل الرحمة فلما حان هذا الموعد دعا عبادة بن الصامت و ولاّه قتال الروم ، فتقدم عبادة و قاتل الروم ففتح الله على يديه الإسكندرية من يومهم ذلك .

---

[٨٣] – (و سُمّي هذا المكان فسطاطاً لأجل ذلك) .

هـــذا و إن تنازل عمرو بن العاص لعبادة بن الصامت يشبـــه تنازل أبي عبيدة لخالـــد بن الوليد يوم اليرموك ، فلقـــد كان هدفهم الأعلى إعلاء كلمة الله ، أمراء كانوا أو مأمورين ، رضي الله عنهم أجمعين .

هـــذا و لما رأى المقوقس انهـــزام جيش الروم اضطُرَّ إلى الصلح على أداء الجزية ، فأمر عبادة بوقف القتال وتم الصلح عند البدء في القتال .

استخلف عمرو بن العاص على الإسكندرية عبد الله بن حذافـــة السهمـــي رضـــي الله عنه ثم رجـــع إلى الفسطاط قبالة حصن باب اليون حسب أوامر أمير المؤمنين .

فتح بقية مدن مصر

و أرســـل عمرو بن العاص بنـــاءً على أوامـــر الخليفة عبد الله ابن سعـــد بن أبي سرح إلى الصعيد و عقبة بن نافع إلى النوبة و خارجـــة ابن حذافة إلى الفيوم و عمر بن وهب الجمحي إلى دمياط و تنيس ففتحوها و ضربوا الجزية على أهلها . ثم توجـــه عمرو بن العاص إلى جهـــة الغرب ففتح برقة و صالح أهلها و أرسل عقبة بن نافع ففتح زويلة ثم انطلق عمرو إلى طرابلس ففتحها بعـــد حصار شهـــر كما فتح صرامـــة و شـــروس ، و هاهنا منعـــه أمـــير المؤمنين من أن يتقـــدم و يتجـــاوز أكثر من ذلك إلى جهـــة الغـــرب .[٨٤]

---

٨٤ – (مختصراً من كتاب التاريخ الإسلامي لمحمود شاكـــر ٣ /١٦٧ – التاريخ الإسلامي مواقف و عبر ٦ / ٣٠٠ و ما بعده – الخلفاء الراشدون و الدولة الأموية ٦٠ و ما بعـــده) .

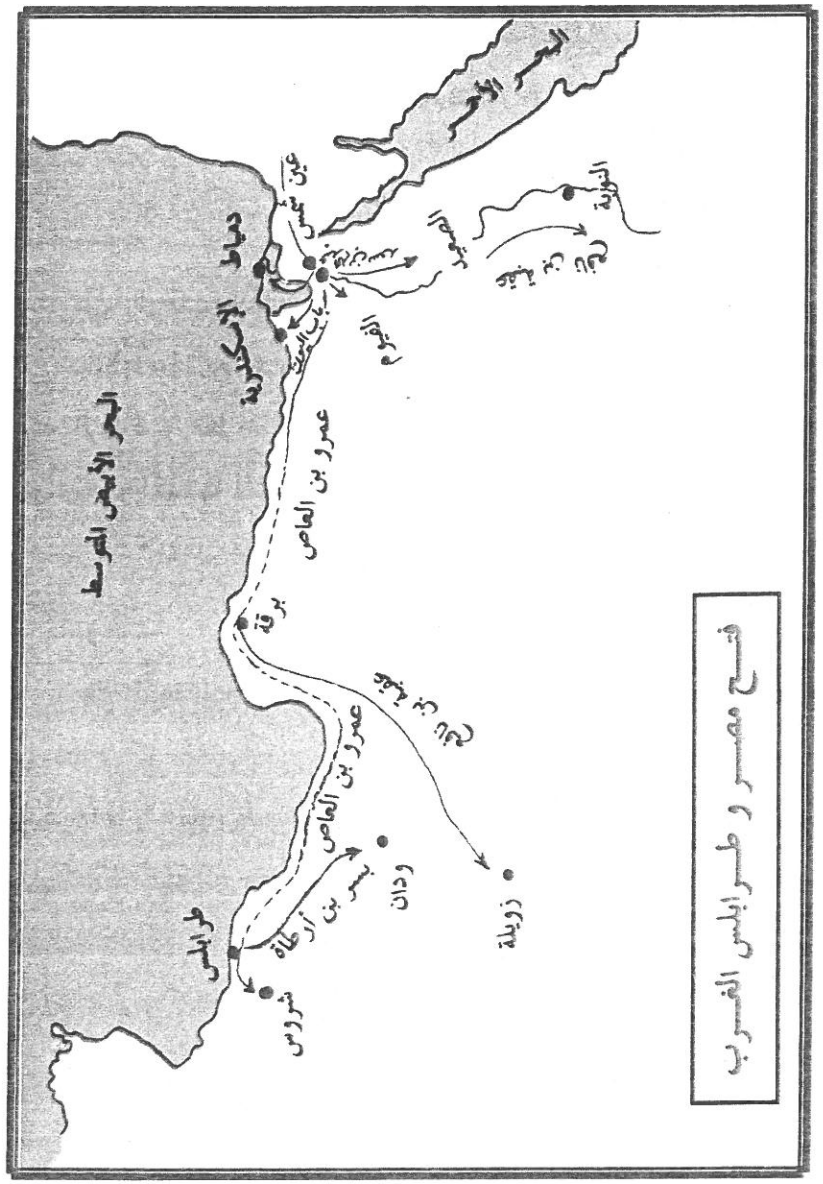

٥ – تمصير المدن

حركة الفتح الإسلامي حركة إصلاح العباد و البلاد ، نَعِم فيها الإنسان بالإيمان و الطمأنينة و الأخلاق و نعمت فيها البلاد بالإصلاح و العمارة و توفير أسباب الرخاء و الاستقرار .

البصرة

هي أول مدينة أنشأت بأمر أمير المؤمنين عام ١٦ هـ ، قام بالإشراف على تخطيطها عتبة بن غزوان رضي الله عنه حيث كان في الوسط جامع و دار الإمارة و خط حولهما لكل قبيلة حياً خاصاً . بدأت مدينة البصرة صغيرة و لكنها لم تلبث أن اتسعت و ازدادت أهميتها التجارية و صلاتها مع الهند و الصين .

الكوفة

هي المدينة الثانية أنشأت بأمر أمير المؤمنين عام ١٧ هـ . و قد كتب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه " اتخذ للمسلمين دار هجرة و مدينة يسكنونها و لا تجعل بيني و بينهم بحراً " . فقام سعد بامتثال أمره و أشرف على تخطيط المدينة و جعل في وسطه الجامع و بجواره دار الإمارة و فيه بيت المال . و لم تلبث مدينة الكوفة أن ازدهرت حتى غدت واحدة من أعظم مراكز العلم و السياسة في البلاد بل صارت المدينة عاصمة للدولة الإسلامية في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الفسطاط

أسس عمرو بن العاص بأمر أمير المؤمنين بعد فتح الإسكندرية مدينةً أمام حصن باب اليون و سماها الفسطاط و ذلك أن فسطاط عمرو بقي في مكانه بعد فتح الحصن و حتى العودة من الإسكندرية و قد شيدت فيما بعد بجوار الفسطاط شمالاً مدينة جديدة باسم العسكر ثم في الشمال الشرقي مدينة القطائع ثم بجوارها القاهرة الحالية .

٦ – نشر التعليم الإسلامي

اهتم الفاروق رضي الله عنه بالتعليم ، فأرسل إلى البلاد المفتوحة مرشدين يحفّظون الناس القرآن و يُعلّمونهم القراءة و الكتابة ، و هكذا ساعد نشر التعليم على نشر الدين الإسلامي .

٧ – تحديد التاريخ الإسلامي

استشار أمير المؤمنين ذوي الرأي من الصحابة رضي الله عنهم في تحديد التاريخ ، فاقترح بعضهم أن يؤرّخ بمولد النبي صلى الله عليه و سلم و آخر بمبعثه صلى الله عليه و سلم و اقترح علي بن أبي طالب أن يؤرّخ بالهجرة و ذلك لأنه بالهجرة قام للإسلام دولة تحفظه – بتوفيق الله – و تذود عنه و تبلغ دعوته ، و لقد كانت الهجرة مبدأ عهد جديد و انطلاق إلى آفاق رحبة ، بدأه المسلمون لينشروا الإسلام

و يفتحـوا به القلوب قبل الأبدان . و قـد بـدأ العمل بالتاريخ الهجري في السنة السادسة عشر من الهجرة و أن شهر محرم هو أول الشهور .

فما أحوج المسلمين اليوم و قـد هجـر أكثرهم بل جهل التاريخ الإسلامي ، ما أحوجهم إلى أن يعودوا إلى أصالتهم فيؤرخوا بالتاريخ الهجري بما يحمله من ذكريات مجيدة ، بل و بما يعنيه ذلك من ارتباط بعبادتهم لربهم ، فبالتاريخ الهجـري يعرف المسلمون مواقيت الصيام و الحج و به يحافظون على تميزهم و تفرد شخصيتهم ، إن أمة الإسلام أمة لها تاريخ و لها حضارة فهل تهجر ذلك كلـه لتستجدي من الأمم الأخـرى تاريخها و حضارتها ، رحـم الله الفـاروق فكـم له من أياد بيضاء و مآثر خـالـدة رضي الله عنه و أرضـاه .[٨٥]

٨ – تنظيم الإدارة العامة

كلما فتحت المدن و توسعت رقعة الدولة الإسلامية اهتمّ أمير المؤمنين بنشر الـدين الحنيف و الأمن و العـدل و الاستقـرار و كانت معاملته مع عامّة الرعية من عرب و عجم على أساس الإسلام و الـذي لا يفضل فيه عربي على عجمي أو أبيض على أسود إلا بالتقوى ، و دوّن الـدواوين

[٨٥] – (الخلفاء الراشدون و الدولة الأموية ٦٦/٦٧) – (و رحم الله حبيبه و رفيقه علي بن أبي طالب الـذي اقترح عليه تأسيس هـذا التاريخ فاستحسنه أمـير المؤمنين و رضي به جميع الصحابة ، و هكـذا كانت جماعـة الصحابة جماعـة تعاون و تناصح و جماعة ائتلاف و اتفاق ، عاشوا لله و ماتوا لله ، و فيه رد بالغ على أعـداء الإسلام أعـداء الصحابة كلهم حيث يسعون في إثبات العـداوة و البغضاء فيما بينهم) .

للخـراج و الجند و نظم الشؤون التجاريـة حتى يكـون الناس في مأمن من الغش ، و وضع نظاما لمراقبة الأسواق و النظـر في المكاييل و الموازين ، أنشأ السجـون و جعل لهـا نظاما . و أصلح الطرق بالشوارع ، و أقام دارا للضيافـة فيها الدقيق و السويق و التمر و الزبيب و غيرها ، و رتب لها مالا لمن انقطع به الطريق و منع التسول و فرض لذوي العاهات راتبا من بيت المال حماية لهم من ذل السؤال ، و كذلك فرض لكل مولود مبلغا من بيت المال و نظم شؤون الـبريد ، و اهتم بحفر الأنهار و الترع للسقاية و أمـر بحفـر قناة من بقعة في فـم الخليج بنهـر النيل شمال الفسطاط ، شرقا إلى قرية القلـزم إلى البحـر الأحمـر ، استغـرق حفرها عاما واحدا و سمـي بخليج أمـير المؤمنين .

و هكـذا كان الفاروق رضي الله عنه يمثل العدالة الاجتماعية الكاملة المستمدة من كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

الأوليات

كان عمر الفـاروق رضي الله عنه أوّل من تسمّى بأمـير المؤمنين ، و أوّل من اتخـذ بيت المال ، و أوّل من سنّ قيام شهـر رمضان (صـلاة التراويـح) و أوّل من عسّ بالليل ، و أوّل من عـاقب على الهجـاء ، و أوّل من ضـرب في الخمر ثمانين جلـدة ، و أوّل من نظّم البريـد و أقام له موظفين حملوا رسائل الخليفة و غيره إلى الأقاليم ، و أوّل من نظّم الدولة فقسمها إلى ولايات و عين على كل ولاية والياً ينوب عنه ، و أوّل من جمع الناس في صلاة الجنازة على أربع تكبيرات ، و أوّل من اتخـذ الـدواوين ،

خليج أمير المؤمنين من شمال الفسطاط من فم الخليج بنهر النيل إلى قرية القلزم على البحر الأحمر

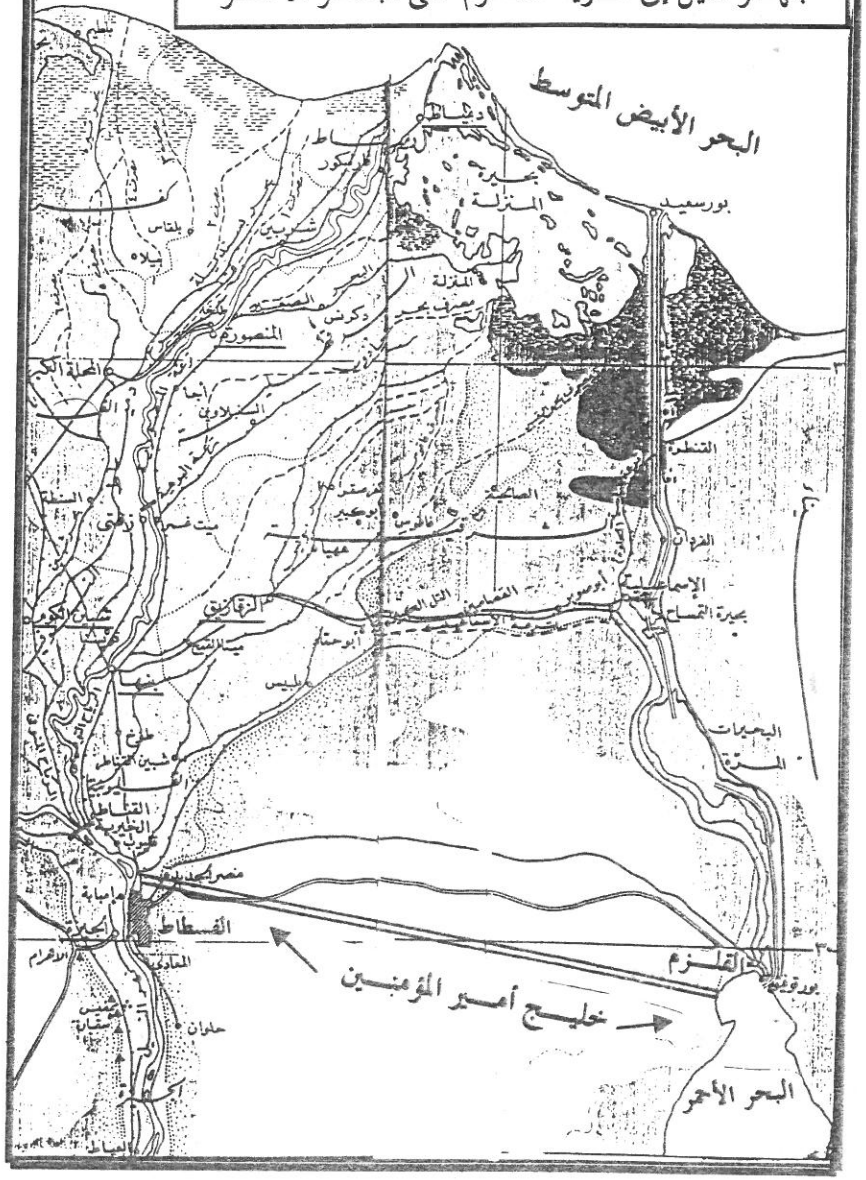

و أوّل من قال " أطال الله بقاءك " قالـه لعلي رضي الله عنه ، و أوّل من قـال " أيّـدك الله " قالـه لعلي رضـي الله عنه . [٨٦]

استشهاد الفاروق رضي الله عنه

كان عمر رضي الله عنه يدعو قائـلاً : " اللهم إني أسألك شهادةً في سبيلك و موتاً في بلد رسولك صلى الله عليه و سلم " فاستجاب الله دعاءه و جمع له بـين الأمرين فقد قتله أبو لؤلؤة المجوسي .

تقـدم رضي الله عنه لصـلاة الفجـر صباح الثالث و العشرين من ذي الحجة في السنة الثالثة و العشـرين من الهجـرة و كبّر وكان المجرم أبو لؤلؤة قـد تسلل من بين الصفوف و في يده خنجـر لـه رأسان فطعنه ست طعنات ثم هرب بين الصفوف طاعناً ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة لما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً له فلما ظن أنـه مأخـوذ لا محالة نحـر نفسه ، و تناول عمر رضي الله عنه يد عبد الرحمن بن عوف و قدّمـه ، و الناس في المسجـد فقدوا صوته فبدءوا يقولون : سبحان الله سبحان الله ، فصلّى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة و عمر طريح و قد أغمي عليه ، فلما أفـاق سأل أ صلّى الناس ؟ ثم حملوه إلى بيتـه و الـدم يسيل من جرحه ، فجعل يفيق ثم يغمى عليه ثم يذكّرونه بالصلاة فيفيق و يقول : نعم ، و لا حظ في الإسلام لمن تركها ، ثم يصلّي في الوقت .

---

[٨٦] – (تاريخ الخلفاء للسيوطـي ١٢٣/١٢٤) – (و هـذا القول و هذا الدعاء لا يقال لعـدو أو محارب كما يثبتـه هادمو قواعـد الدين الإسلامي و مزلزلوها) .

ثم نادى عبد الله بن عباس و قال له : أخرج فانظر من قتلني ؟ قال : يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة المجوسي [87] ، قال : الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يد رجل سجد لله سجدة واحدة . و جيء له بطبيب من الأنصار فسقاه لبناً فخرج اللبن من الجرح فاعتقد الطبيب أنه منتهٍ . و نادى ابنَه عبد الله و قال له : أنظر ما عليّ من الدين ، فحسبوه فوجدوه ستة و ثمانين ألفاً أو نحوه ، قال : إن وفى له مال آل عمر فأدّه من أموالهم و إلا فسل في بني عدي بن كعب فإن لم تف أموالُهم فسل في قريش و لا تَعْدُهُم إلى غيرهم فأدّ عني هذا المال .

ثم أرسله إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يستأذنها في أن يدفن بجانب صاحبيه و قال له : قل لها : يقرأ عليكِ عمرُ السلامَ و لا تقل : أمير المؤمنين فإني لست اليوم أميراً و قل يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه فمضى عبد الله فسلّم و استأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدةً تبكي ، فسلّم عليها و قال : يقرأ عليكِ عمرُ السلامَ و يستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت :كنت أريده لنفسي و لأوثرنّه به اليوم على نفسي [88].

ثم جعل أمر الخلافة إلى هؤلاء النفر الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو عنهم راض . توفي رضي الله عنه

---

[87] – (و نداءه رضي الله عنه عبد الله بن عباس يدل على حبه إياه و ثقته به مع كونه هاشياً ليس من أقربائه بل يفضله في العلم على كبار من الصحابة ، فكفى الله شر المفترين) .

[88] – (التاريخ الإسلامي ٣ / ١٩٤) .

بعد هذا الطعن بثلاثة أيام ليلة الأربعاء ٢٣/١٢/٢٧هـ غسله و كفنه ابنه عبد الله و صلّى عليه صهيب الرومي لأنه كان أوصى به ، و دُفن صباح الأربعاء في حجرة عائشة رضي الله عنها بجوار صاحبيه حسب الوصية . كانت مدة خلافته عشر سنوات و ستة أشهر و أربعة أيام ، (من ٢٢ / ٦ / ١٣ هـ إلى ٢٧ / ١٢ / ٢٣ هـ) .

****

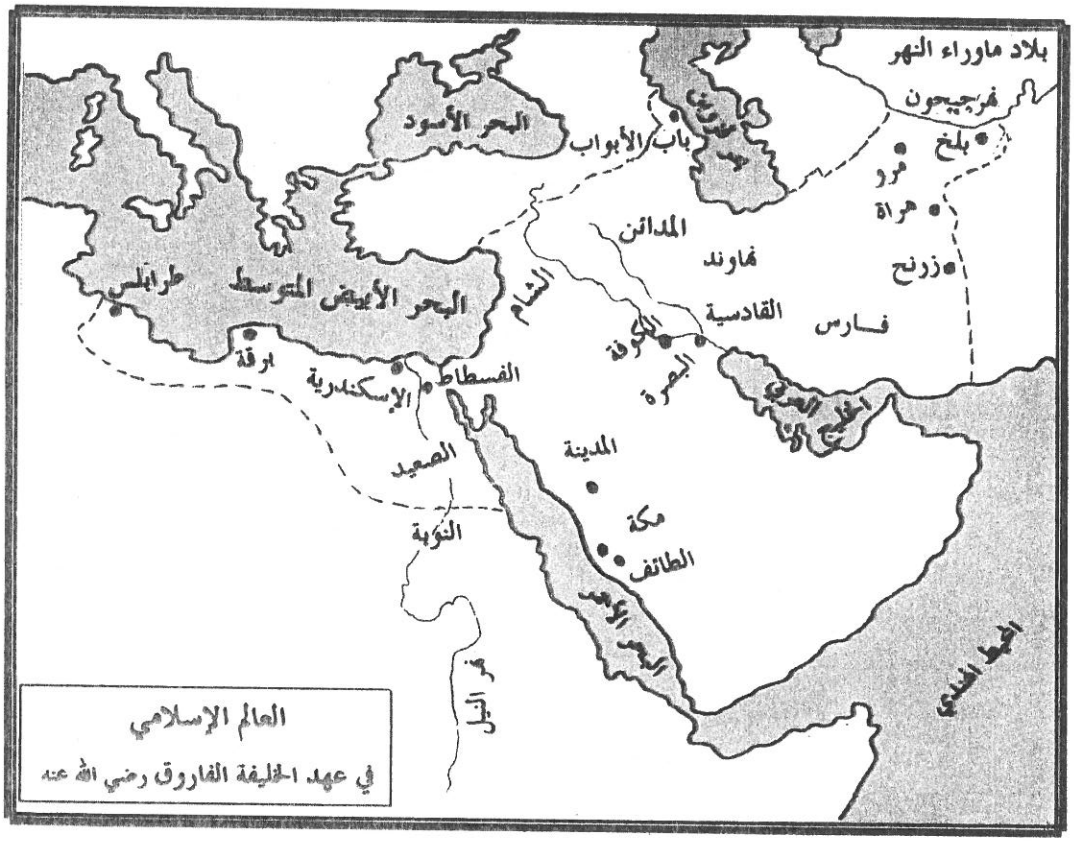

أسرة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

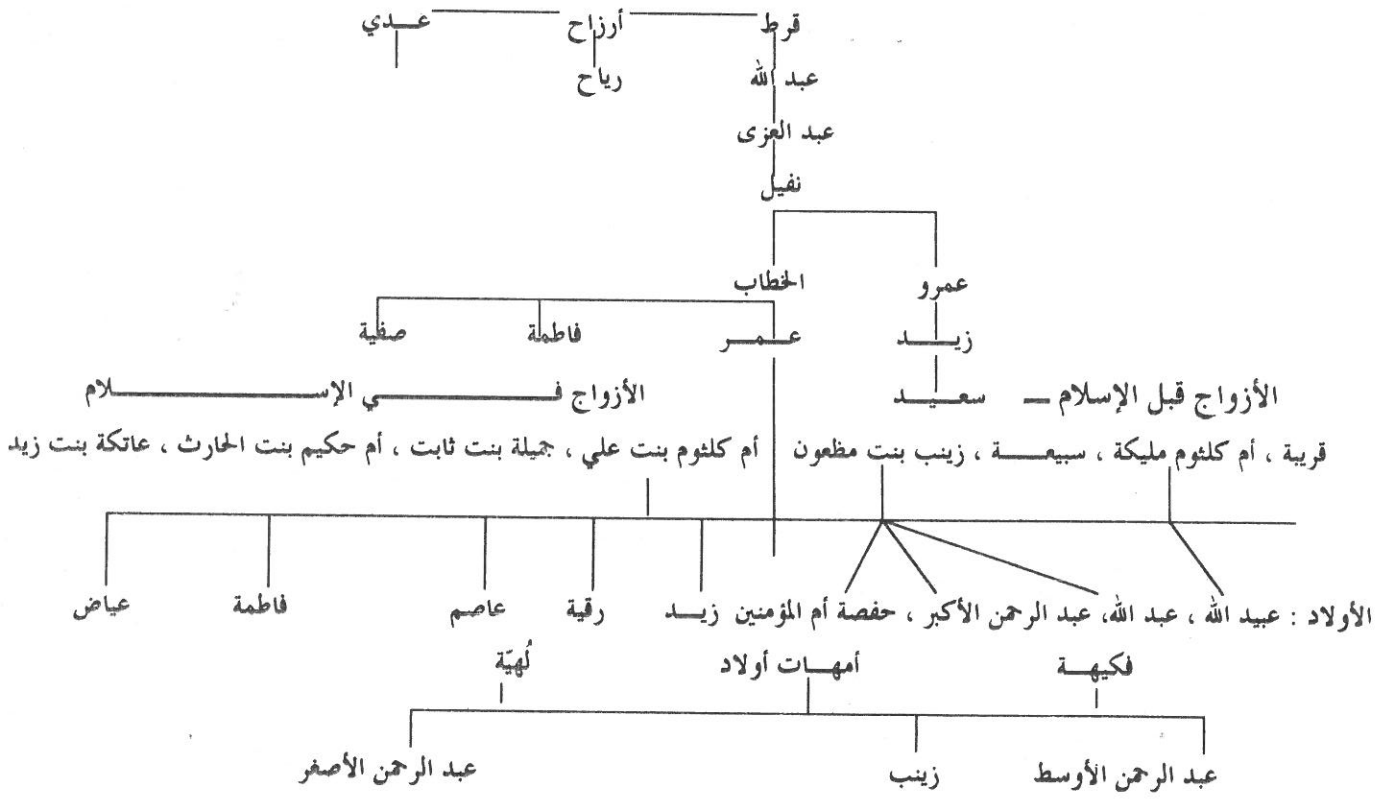

الفصل الثالث

****

عثمان ذو النورين رضي الله عنه

خلافته من ١/١/٢٤هـ ـــ إلى ١٨/١٢/٣٥هـ

عثمان بن عفان رضي الله عنه

ولادته و نشأته و فضله

هو عثمان بن عفـــان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف القـــرشـــي و أمـــه أروى بنت البيضـــاء بنت عبد المطلب (جـــد النبي صلى الله عليه وسلم) .

وُلـــد بالطائف بعـــد ولادة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين ، كان أبـــوه من كبار تُجَّـــار قـــريش و مـــات في إحـــدى رحـــلاتـــه إلى بلاد الشام ، استثمر عثمان ميراث أبيه فنمت أمواله و ازدهرت تجارته على توالي الأزمـــان ، كان من وجهـــاء قريش و أعيانهـــا ، سخياً كـــريماً محبوباً لـــدى الناس .

حياته في العهد النبوي

كان من أصدقاء أبي بكـــر الصديق رضي الله عنه ، وكان في مجلسه يوماً فأخـــذ يشرح لـــه محاسن الإســـلام و مساوئ الشرك و كان عثمان حازماً فتأثر من كلام أبي بكـــر ، ثم ذهب معـــه إلى النبي صلـــى الله عليه وسلـــم ، فلما لقيـــه عـــرض عليه الإســـلام فأسلم ، فكان بـــذلك من السابقـــين الأولـــين .

تأثرت قريش بإسلامه أثراً سيئاً و حاول عمه الحكم بن أبي العاص إخراجه من زمرة المسلمين فلم يفلح ، فعذبّه عذاباً شديداً فصبر و استقام ، و حاولت أمه ذلك و لكن بدون جدوى ، زوجّـــه الرسول صلى الله عليه وسلم بنته رقية ، فلمّا اشتدّ أذى قريش هاجـــر مع زوجتـــه في شهر رجب عام ٥ من النبوة إلى الحبشة ثم رجعا إلى مكة في شهر شوال في نفس العام .

ثم هاجـــر إلى المدينة المنورة بعـــد هجـــرة النبي صلى الله عليه وسلم ، و لـــذا يسمـــى " ذا الهجـــرتين " .

لما ذهب صلـــى الله عليه وسلم إلى بـــدر ترك عثمان في المدينة لتمريض زوجته ، و توفيت رضي الله عنها قبل رجـــوع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، و صار عثمان مهموماً و لماذا لا ، و قد انقطع الصهر بينه وبين النبي صلـــى الله عليه وسلم ، فطيّب النـــبي صلـــى الله عليه وسلم خَاطِـــرَه و زوّجـــه أمّ كلثوم رضي الله عنها و بقيتْ معـــه إلى أن تُوُفِّيَتْ في العـــام التاســـع الهجـــري فقـــال لـــه الرسول صلـــى الله عليه و سلم لو كانت لنا ثالثة لزوّجناك . و لأجل هـــذا سمّـــي " ذا النورين " .

كان رضي الله عنه أكثر الصحابة مالاً و لـــذا كان أكثرَهم عطاءً في غزوة تبوك فقد بلغ مقـــدارُ صدقته تسعَمائـــةِ بعـــيرٍ و خمسين فرساً ، ولما جـــاء بألف دينار من الـــذهب و جعلها في حِجر النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل صلى الله عليه وسلم يقلّبها بيده و يقـــول : ما ضرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْـــدَ الْيَوْمِ " و لـــذا سمّـــي مجهّـــز جيش العسرة " .

اشترى بئر رومة بعشرين ألف درهم من يهودي و جعلها وقفاً . ولم يكن بالمدينة المنورة ماء عذب غيرها . ثم كان نصيبه من هذا الماء مثل نصيب غيره من المسلمين .

حضر جميع الغزوات مع النبي صلى الله عليه وسلم ماعدا بدر كما سبق ، و كان سفيرَ الرسول صلى الله عليه و سلم إلى قريش في صلح الحديبية فلما ذهب إلى مكة و تأخّر فيها و أشيع في الناس أنه قُتِلَ ، سار المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو تحت شجرة فبايعوه أن لا يفرّوا و أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده و قال : هذه يد عثمان فضرب بها على يده اليسرى و قال : هذه لعثمان ، فكانت بيعة الرضوان . و إليه يشير قوله تعالى " لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِيْنَ إِذْ يُبَايِعُوْنَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ " . [89]

حياته في العهد الصديقي

كان عثمان رضي الله عنه يُعَدُّ الكاتب الأول للخليفة و يُعَدُّ ثاني اثنين في تسيير شؤون الدولة بعد عمر الفاروق . وكان أصاب الناسَ في ذلك العهد قحط و جدب ، فلما اشتدّ بهم الأمر جاءوا إلى أبي بكر و قالوا : يا خليفة رسول الله ؛ إن السماء لم تُمْطِر و الأرض لم تُنْبِت و قد توقّع الناسُ الهلاكَ ، فماذا نصنع ؟

قال : " انصرفوا و اصبروا فإني أرجو ألا تمسوا حتى يفرّج الله عنكم " فلما كان آخر النهار ورد الخبر أن عيراً لعثمان جاءت

[89] – (سورة الفتح / ١٨) .

من الشام و تُصبِّح بالمدينة ، فلما جاءت خرج الناس يتلقّونها ، فإذا هي ألف بعير موسوقة بُرًّا و زيتاً و زبيباً ، فأناخت بباب عثمان رضي الله عنه ، فلما جعلها في داره جاء التجار ، فقال لهم : ما تريدون ؟ قالوا : إنك لتعلم ما نريد . بعنا من هذا الذي وصل إليك ، فإنك تعلم ضرورة الناس . قال : حُباً و كرامةً ، كم تربّحوني على شرائي ؟ قالوا : الدرهم درهمين . قال : أُعطِيت أكثر من هذا . قالوا : أربعة . قال : أعطيت أكثر من هذا . قالوا : يا أبا عمرو ؛ ما بقي في المدينة تجار غيرنا و ما سَبَقَنا إليك أحد فمن الذي أعطاك قال : إن الله أعطاني بكل درهم عشرة ، أ عندكم زيادة ؟ قالوا : لا . قال : فإني أشهد الله أني جعلت ما حَمَلَت هذه العيرُ صدقةً لله على المساكين و فقراء المسلمين . [90]

هذا موقف من مواقف عثمان رضي الله عنه ، و يا له من موقف عظيم يكشف لنا عظمة هؤلاء الذين نشروا الخير في ربوع كثيرة .

و آخر عمل عمله عثمان في العهد الصديقي هو كتابه لأبي بكر وثيقة استخلاف عمر بيده .

حياته في العهد الفاروقي

كان عثمان رضي الله عنه بقي في مكانته كالكاتب للخليفة في العهد الفاروقي و كان الفاروق رضي الله عنه يستشيره في كل الأمور و يعطيه حقه في كل المجالات السياسية و الاجتماعية ، و لما طعنه أبو لؤلؤ المجوسي عيّن أصحابَ الشورى و فيهم عثمان و أوصى

[90] – (التاريخ الإسلامي ٣ / ٢٢٤) .

أن يصلي بالناس صهيب بن سنان الرومي و لا يأتي اليوم الرابع إلا و قد تم تعيين الخليفة الجديد .

البيعة لعثمان بالخلافة

جمع المقداد بن عمرو أصحابَ الشورى و هم عثمان و علي و طلحة بن عبيد الله و الزبير بن العوّام و سعد بن أبي وقاص و عبد الرحمن بن عوف في بيت المِسور بن مَخْرَمَة يتشاورون في هذا الأمر و انتهوا إلى أن فوّض ثلاثة منهم الأمر إلى الثلاثة الآخرين ، ففوّض الزبير الأمر إلى علي و فوّض سعد إلى عبد الرحمن بن عوف و ترك طلحة حقه إلى عثمان ، فقال عبد الرحمن لعلي و عثمان : أيُّكما يبرأ من هذا الأمر فنفوّض الأمر إليه . فسكت الشيخان علي و عثمان ، فقال عبد الرحمن : إنّي أترك حقي من ذلك . و اللهُ عليّ و الإسلامُ أن اجتهد فأُولّيَ أولاكما بالحق . فقالا : نعم . ثم خاطب كلَّ واحد منهما بما فيه من الفضل ، و أخذ عليه العهد و الميثاق ، لئن ولاّه ليعدلَنّ و إن وُلّيَ عليه ليَسْمعَنّ ، فقال كل منهما : نعم .

ثم نهض عبد الرحمن بن عوف يستشير الناس فيهما ، فاستشار رؤوس الناس و قادة الجنود جميعاً و أشتاتاً ، و مثنى و فرادى و مجتمعين ، سرًّا و جهرًا ، و انتهى إلى النساء المخدّرات في حُجُبهنّ و حتى سأل الولدان في المكاتيب ، و سأل من يرد من الركبان و الأعراب إلى المدينة ، طوالَ ثلاثة أيام بلياليها ، فلم يجد اثنين يختلفان في تقديم عثمان رضي الله عنه

و كان عبد الرحمن بن عوف في هذه الأيام و لياليها لا يغتمض بكثير نوم ، إلا صلاة و دعاء و استخارة و سؤالا من ذوي الرأي عنهما .

ثم اجتمع عبد الرحمن في بيت المسور بن مخرمة في اليوم الرابع بعثمان وعلي و قال : إني سألت الناس عنكما ، فلم أجد أحدا يعدل بكما أحدا ، ثم أخذ العهد من كل منهما أيضا ، لئن ولاه ليعدلن و إن ولي عليه ليسمعن و ليطيعن ، ثم خرج بهما إلى المسجد ، و قد لبس عبد الرحمن العمامة التي عممه رسول الله صلى الله عليه وسلم بها (و كان ذلك عندما أرسله إلى دومة الجندل إلى بني كلب عممه بيده و سدلها بين كتفيه ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٢٨٣) و تقلد سيفا ، و بعث إلى وجوه الناس من المهاجرين و الأنصار ، و نودي في الناس " الصلاة جامعة " فامتلأ المسجد حتى غص بالناس و تراص الناس حتى لم يبق لعثمان موضع يجلس إلا في أخريات الناس و كان رجلا حييا .

ثم صعد عبد الرحمن منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف وقوفا طويلا و دعا دعاء طويلا لم يسمعه الناس ، ثم تكلم فقال :

" أيها الناس إني سألتكم سرا و جهرا بأمانيكم ، فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما علي و إما عثمان . فقم إلي يا علي ، فقام إليه فوقف تحت المنبر ، فأخذ عبد الرحمن بيده فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم و فعل أبي بكر و عمر ؟

قال : اللّهم لا ، و لكن على جهدي من ذلك و طاقتي .[91] فأرسل يده و قال : قُمْ إليَّ يا عثمان ، فأخذه بيده ، فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله و سنة نبيّه صلى الله عليه وسلم و فعل أبي بكر وعمر، قال : اللّهم نعم . قال : فرفع عبد الرحمن رأسَه إلى سقف المسجد و يدُه في يدِ عثمان قائلاً : اللّهم اسمع و اشهد ، اللّهم اسمع و اشهد ، اللّهم اسمع و اشهد اللّهم إني قد خلعت ما في رقبتي من ذلك و جعلته في رقبة عثمان .

فازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غَشَوْه تحت المنبر ، فقعد عبد الرحمن مقعد النبي صلى الله عليه و سلم و أجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية و جاء إليه الناس يبايعونه و كان عليّ رضي الله عنه أوّلَ المبايعين .[92]

---

[91] – كان الناس قد وقر في قلوبهم حب المنهج الذي سار عليه أبو بكر و عمر في خلافتهما ، و الثقة بأنه هو أسلوب الحكم الذي يتفق مع خلافة النبوة ، و فيه الأمان من كل خطر و تعسّف و جَور ، لذلك لما قبِل عثمان أنه مبايع على كتاب الله و سنة نبيّه و فعل أبي بكر و عمر ، اطمأن به عبد الرحمن بن عوف و الحاضرون ، و كان لعليّ الحق – و هو العالم بكتاب الله و سنة نبيّه و له حق الاجتهاد – أن يقول ما قال ، و لكنه لم يكنْ ذلك كافياً لإدخال الطمأنينة على نفوس الناس في ضوء تجاربهم في عهد الخليفتين الأوّلَيْن ، لذلك فضّلوا عثمان الذي قيّد نفسه بالكتاب و السنة ، و فعل أبي بكر وعمر . (المرتضى للشيخ أبي الحسن الندوي ص ١١٩) .

[92] – (ملخصاً من البداية و النهاية ٧ / ١٤٤) .

الأعمال الجليلة في العهد العثماني

قام أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه بأعمال جليلة في العهد الذي امتدّ اثنى عشر عاماً و هي كالتالي :

١ – اتساع الفتوح .

٢ – تأسيس الأسطول الإسلامي .

٣ – جمع المسلمين في قراءة القرآن على حرف قريش .

٤ – زيادة الأذان الثاني (و هو الأذان الأول في الترتيب) يوم الجمعة .

١ _ اتساع الفتوح

تابع عثمان رضي الله عنه سلسلة الفتوح التي بدأت من العهد النبوي و استمرت في عهد الخليفتين أبي بكر و عمر و بلغت أَوْجَها و ذروتها في عهده حتى رأى الفرسُ و الرومُ أَشْلاءَ دولتيهما تتمزّق و أصبحت راية الإسلام ترفرف على شمال أفريقيا و منطقة كبيرة في غربي آسيا .

قام أمير الشام معاوية رضي الله عنه بغزو الروم حتى وصل إلى عمورية قريباً من أنقره اليوم و معه من الصحابة عبادة ابن الصامت و أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري و أبو ذر الغفاري و شداد بن أوس رضي الله عنهم .

و غزا الوليد بن عقبة آذربيجان و أرمينيا و كان أهلهما قد منعوا ما صالحوا عليه حذيفة بن اليمان في العهد الفاروقي .

وسار أمير خراسان عمير بن عثمان غازياً إلى فرغانة وذلك عام ٢٩هـ ووصل أمير سجستان عبدالله بن عمير الليثي إلى كابل وانطق أمير كرمان عبيد الله بن معمر التميمي فوصل إلى نهر السند.

وسار عبدالله بن عامر إلى قومس ومنها إلى جرجان فصالحه أهلها على مائتي ألف . ثم ذهب إلى فارس بعد أن انتقضت فافتتحها وكان بها يزد جرد ملك الفرس فهرب إلى كرمان فأرسل عبدالله بن عامر في أثره مجاشع بن مسعود السلمي ففر يزد جرد إلى خراسان وطلب المال من مور فمنعه ثم التجأ إلى رجل على شاطئ نهر مورغان يعمل في نقر أحجار الرحى فقتله . ثم واصل عبدالله بن عامر سيره ففتح المدن الآتية : طوس وأبيورد ونسا وبلغ برخس، وصالح أهل مرو وبلخ.

وسار عبدالله بن سعد بن أبي السرح على رأس قوة، فاجتاز طرابلس واستولى على سفن الروم التي كانت راسية هناك. ثم واصل سيره إلى أفريقيا، والتحق به عبدالله بن الزبير ، ثم التقى المسلمون بالجيش البيزنطي في سبيطله وقتل عبدالله بن الزبير قائد الروم جرجير وكان النصر حليف المسلمين وذلك عام ٢٧هـ . وجاء ابن الزبير بأخبار الفتح إلى المدينة المنورة. ولما أخبر عثمان عمّا جرى في سبيطلة وقتله جرجير، قال له عثمان: "إن استطعت أن تؤدّي هذا للناس فوق المنبر". قال: نعم. ثم صعد المنبر النبوي وخطب الناس وذكر لهم كيفية ما جرى.

هكذا فقد كانت الفتوح أيام سيدنا عثمان رضي الله عنه واسعة إذ أضافت بلاداً جديدةً[٩٣].

---

[٩٣] – (التاريخ الإسلامي ٣ / ٢٣٣ و ٢٣٥ ملخصاً).

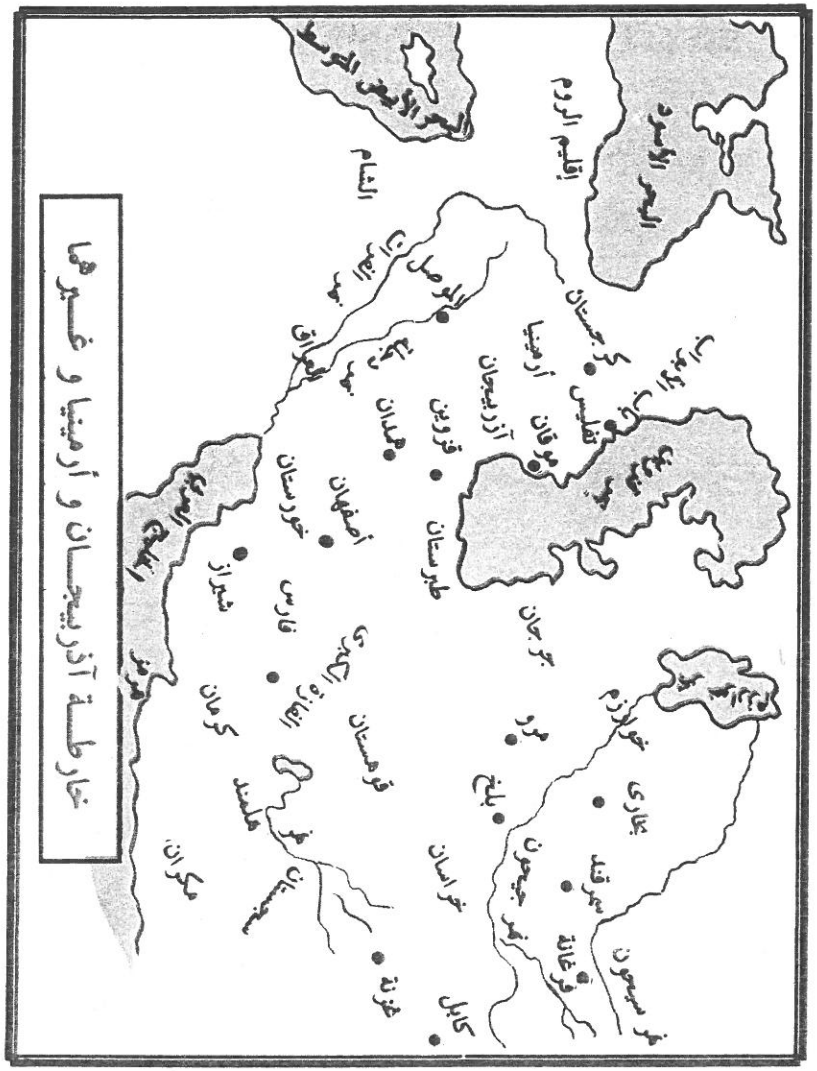

٢ – تأسيس الأسطول الإسلامي و فتح قبرص

كان أول من فكر في إنشاء أسطول إسلامي هو معاوية ابن أبي سفيان و قد كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه في ركوب البحر و غزو قبرص . إلا أنه لم يأذن له خشية المخاطر التي سيتكبّدها في ذلك قائلاً : " لا و الذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً " . [٩٤]

لم ييأس معاوية بل عاود الطلب عندما تولي عثمان الخلافة فعارض بادئ ذي بدء لأنه شهد موقف عمر من فكرة هذا الغزو إلا أنه فيما بعد وافق شريطة ألاّ يكره أحداً على ذلك بل يخيّرهم و أن يصطحب كل من يرغب من المقاتلين امرأته معه ، ففعل و استعمل على البحر عبد الله بن قيس الحارثي . [٩٥]

ثم أقيمت مصانع للسفن في كثير من الموانئ الشامية مثل صور و طرابلس و صيدا و عكاّ و قيسارية و عسقلان و في مصر في الإسكندرية و دمياط .

ركب معاوية رضي الله عنه من ميناء عكاّ و معه من الصحابة أبو ذر الغفاري و عبادة بن الصامت و المقداد بن عمرو و أبو الدرداء و معهم أزواجهم متجهين إلى قبرص . و في نفس الوقت خرج

[٩٤] – (تاريخ الطبري ٤ / ٢٥٩) .

[٩٥] – (من مقررات وزارة المعارف السعودية تاريخ الدولة الإسلامية للصف الثاني الثانوي الأدبي ص ٤٩) .

عبد الله بن سعد بن أبي السرح بجيشه من الإسكندرية إلى قبرص حتى لقوا معاوية و كان معاوية هو القائد العام على الجيشين . لما نزلوا في الجزيرة عرضوا على أهلها الإسلام فأبوا و لكنهم استسلموا فعقد حاكمها صلحاً مع معاوية على سبعة آلاف دينار سنوياً و ذلك في عام ٢٨هـ [٩٦] .

معركة ذات الصواري عام ٣٤هـ

لقد رأى الروم مدى قوة المسلمين البحرية و أنهم أنشأوا مصانع للسفن في الشام و مصر و سيطروا على قبرص و يزيد نشاطهم البحري يوماً بعد يوم .

و أن الخليفة عثمان رضي الله عنه قد عيّن عبد الله بن سعد ابن أبي السرح والي مصر أميراً على الأسطول الإسلامي و ركّز كل اهتمامه على تنظيم القوة البحرية .

لما رأى الروم ذلك وضعوا مخطّطاً لتدمير هذا الأسطول الناشئ و أخذوا يثيرون سكان الموانئ ليقوموا بإحراق سفن المسلمين ، و لم يقفوا إلى هذا الحدّ بل أعدّوا أسطولاً ضخماً و قرر إمبراطور الروم قسطنطين الثاني ابن هرقل أن يقود المعركة بنفسه .

لما سمع قائد الأسطول الإسلامي عبد الله بن سعد بن أبي السرح عن خروجه من بلاده ، غادر الإسكندرية شمالاً يبحث عن أسطول الروم

[٩٦] – (التاريخ الإسلامي ٣ / ٢٣١) .

و أرسل إلى معاوية أن يخرج مع جيشه ، و قد التقوا جميعاً شمال جزيرة قبرص و كان هناك أسطول الروم قريباً منه .

قال عبد الله بن سعد و هو يستشير جيشه : أشيروا عليّ . قالوا : ننظر الليلة ، فباتوا — يعنى الروم — يضربون النواقيس و ينفخون في الصفّارات و يشربون الخمر ، و بات المسلمون يصلون و يكثرون من قراءة القرآن .

فلما أصبحوا أجمع قسطنطين على أن يقاتل ، فقرّبوا سفنهم و قربها المسلمون و ربطوا بعضها إلى بعض و صفّ عبد الله بن سعد المسلمين على نواحي السفن و جعل يأمرهم بقراءة القرآن و الصبر .

ثم وثبت الروم على صفوف المسلمين حتى نقضوها و اقتتلوا قتالاً شديداً و دارت بين الفريقين رحا الحرب على سطح الماء ، و كانت وقعةً هائلة جداً حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج ، و طرحت الأمواج جثث الرجال ركاماً ، و انهزم الروم شر هزيمة و جرح فيها إمبراطور الروم قسطنطين و هرب مع من بقي من جيشه و هم قلة قليلة و استولى المسلمون على كثير من سفنهم .

اشتركت في هذه المعركة ألف سفينة منها ٨٠٠ للروم و ٢٠٠ للمسلمين [٩٧] . و وقعت بالقرب من شواطئ كيليكيا (أو قيليقية) في شرق شمال قبرص في جنوب أرمينيا الصغرى (تركيا حالياً) و سميت بذات الصواري [٩٨] و هكذا تمّ نجاح المسلمين في الغزو البحري بانتصارهم

٩٧ – (تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ج ١ ص ٢٦٢) .

٩٨ – (نسبة إلى الصواري ، جمع صار : عمود مركّز في وسط السفينة يعلق به الشراع) .

في هذه المعركة الكبيرة فأصبحوا سادة البحر كما كانوا سادة البرّ ، و فَقَد الروم أملاً من آمالهم في التفوق العسكري البحري . [٩٩]

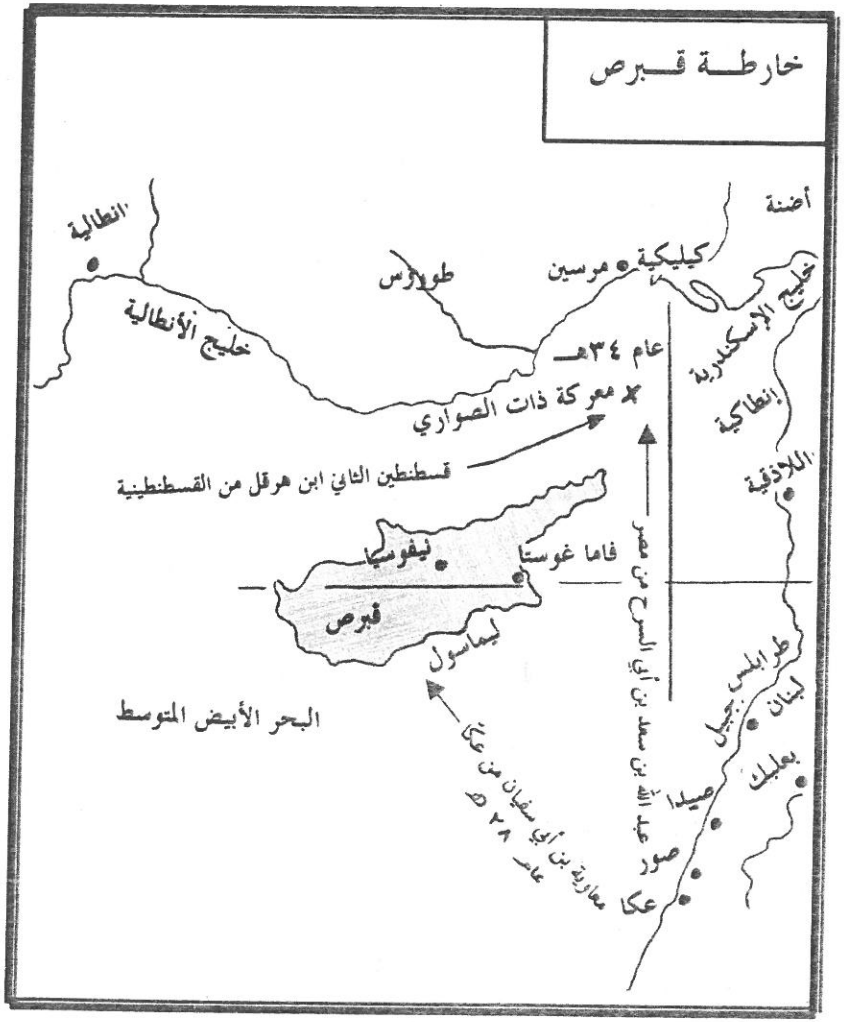

٩٩ – (التاريخ الإسلامي ٣ / ٢٣٢ و التاريخ الإسلامي دروس وعبر ٦ / ٣/٤٠٤ و تاريخ الأمم الإسلامية ٢ / ٣٠) .

معركـــة ذات الصواري في البحـــر الأبيض المتوسط
بين الأسطول الإســـلامي و بين الأسطول الـــرومي

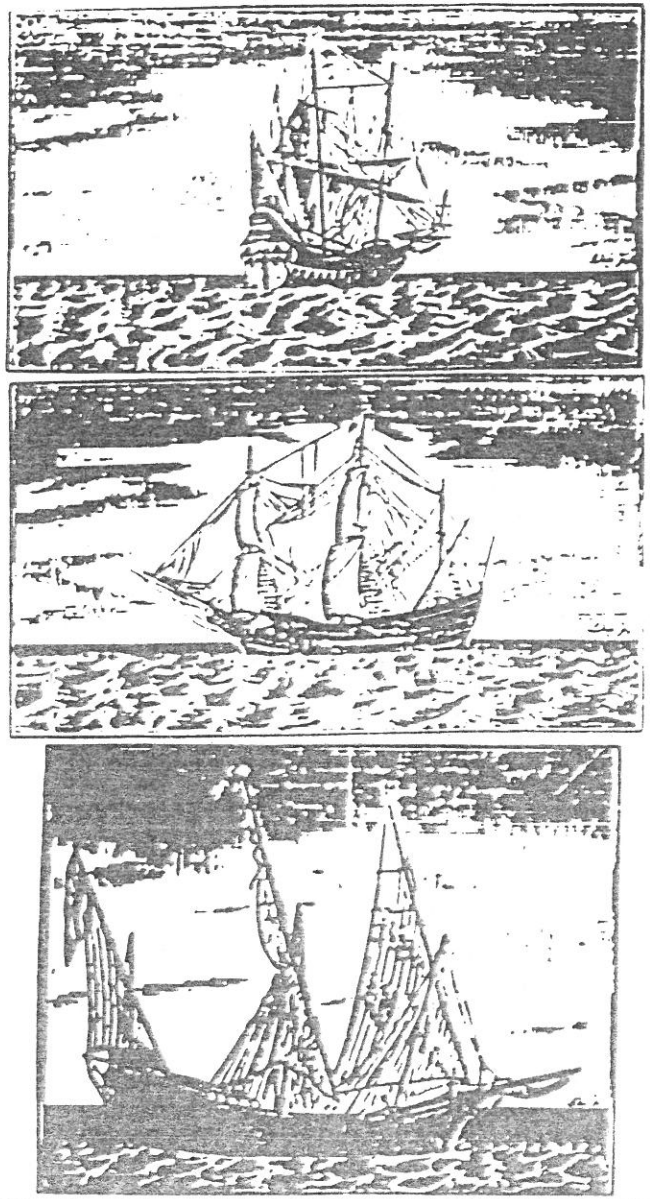

٣ – جمع المسلمين في قراءة القرآن على حرف قريش

إن حذيفة بن اليمان فاتح آذربيجان رأى الناس يختلفون في قراءة القرآن فسار إلى المدينة و أخـــبر عثمان بمـــا رأى حتى قـــال : أنا النذير العريان فأدرِك الأُمَّـــة . فجمع عثمان الصحابة و أخبرهم الخـــبر فأعظموه و رأوا جميعاً ما رأى حذيفة . فأرسل عثمان إلى حفصة أم المؤمنين رضـــي الله عنها أن أرسلـــي إلينا بالصحف ننسخهـــا ، و كانت هـــذه الصحف هي التي كتبت في عهـــد الصديـــق رضـــي الله عنه .

و للمرة الثانية طُلِب من زيـــد بن ثابت الإشراف على كتابة نسخ كثيرة من أصل تلك الصحف و قد ساعده في هذا العمل عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاص و عبد الرحمن بن حارث بن هشام و أمـــرهم عثمان بأن يكتبوا ما يختلفون فيه بلسان قـــريش ، و سبب جعـــل زيـــد بن ثابت هو المشرف أنه كتب الوحي للنبي صلى الله عليه و سلم ، و أنـــه جمع القرآن كله على عهـــد رسول الله صلـــى الله عليه وسلم ، و أن قراءتـــه كانت على آخـــر عرضـــة عرضها النـــبي صلى الله عليه و سلم على جـــبريل عليه السلام ، و لـــذلك قـــد قدّمه أبو بكر لكتابة الصحف و خصه بها دون غـــيره من سائر المهاجرين و الأنصار .

و لما تم كتابة نســـخ كثـــيرة و إرسالها إلى كل مصـــر من الأمصار . أمر عثمان رضي الله عنه بالاعتماد على ما أرسل إليهم و إحـــراق غـــيرها من الصحف ، و قـــد عرف الناس جميعـــاً فضل هـــذا العمل . و لما قـــدم علي رضي الله عنه الكوفة ، قـــام إليه رجل من أهل الكوفة و عابَ عثمانَ

بجمع الناس على المصحف . فصاح رضي الله عنه و قال : أسكت ! فَعَلى ملأٍ منّا فعل ذلك . فلو وُلّيتُ منه ما وُلّيَ عثمانُ لسلكتُ سبيله . [100]

و خلاصة القول أن التدوين الأول في العهد الصديقي هو جمع القرآن بين الدفتين و حفظه من الضياع ، و التدوين الثاني يرمي إلى غرض واحد و هو جمع الناس على وجه واحد ــ حرف قريش ــ في قراءة القرآن خشية ما قد يقع بينهم من خلاف . [101]

و صفوة القول أن الله سبحانه وتعالى شاء ألاّ تعبث بالقرآن يُد التحريف و التبديل فقال في كتابه العزيز { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ } . (١٥/ ٩) و قال : { لاَ يَأتِيْهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ و لاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيْلٌ مِنْ حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ } (٤١/ ٤٢) . [102]

٤ – زيادة الأذان الثاني قبل أذان الخطبة يوم الجمعة

فقد أخرج البخاري بسنده عن السائب بن يزيد أن الذي زاد التأذين الثالث [103] يوم الجمعة عثمان بن عفان رضي الله عنه حين كثر

[100] – (ابن الأثير ٣ / ٤٦) .

[101] – (أي محو الأوجه الأخرى لبعض لهجات العرب و إبقاء حرف قريش فقط لأنه عرف و اشتهر و لم تبق حاجة للأخذ برخصة الأحرف السبعة) – (الخلفاء الراشدون و الدولة الأموية ط ١٤٠٥ / ص ٧٨) .

[102] – (تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ١ / ٥٠٢ ــ و الخلفاء الراشدون و الدولة الأموية ص ٧٨) .

[103] – (المراد منه الأذان) .

أهل المدينة و لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم مؤذن غير واحد ، و كان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الإمام يعني على المنبر . [104]

فتنة عبد الله بن سبأ اليهودي

لا يخفى على من يدرس التاريخ أن اليهود مكروا بالمسلمين كل مكر ، و مؤامراتهم و نكثهم للعهود مع النبي صلى الله عليه وسلم معروفة و واضحة مثل وضوح الشمس في وسط النهار . و ها هو عبد الله بن سبأ ــ المعروف بإبن السوداء ، نسبة إلى أمّه و كانت سوداء ــ و كان من يهود صنعاء ، جاء إلى المدينة و أظهر إسلامه و استطاع التأثير على نفوس الأعراب و من دخل في الإسلام حديثاً فقال فيما قال : " عجباً لكم أيها المسلمون تزعمون أن عيسى سيرجع و أن محمداً لا يرجع ، و الله سبحانه و تعالى يقول : { إِنَّ الَّذِيْ فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ } . [105] فمحمّد أحق بالعودة و الرجوع من عيسى " . و قال : " إنّ علياً هو وصي محمد صلى الله عليه وسلم " . (لا حباً به و تقديراً و إنما لبذر الفتنة في المجتمع المسلم) ثم بدأ يطعن في الخليفة عثمان رضي الله عنه و في وُلاته و أمرائه ، و أنهم ما احتلوا هذه المراكز إلا لكونهم من ذوي رحم الخليفة الذي بلغ من الكِبَرِ عِتِيًّا ، و أنّهم قد أثروا عليه فأصبح أداة طيعة في أيديهم .

[104] – (صحيح البخاري ١ / ٢١٩ طبعة مركز الدراسات و الأعلام دار أشبيليا الرياض) .

[105] – (سورة القصص / ٨٥) .

لقد نجح إبن السوداء بذكائه و دهائه في التأثير على عدد من حديثي العهد بالإسلام أو من كان ساخطاً على الخليفة مثل محمد بن أبي حذيفة بسبب عدم موافقته على طلبه الولاية أو الإمارة .[١٠٦] أو أيّ سبب آخر حال بينه و بين غيره بسبب عدم موافقة الخليفة لمطلبه .

تنقل ابن السوداء من الحجاز إلى البصرة ثم الكوفة و الشام و مصر و كان ينشر دعوته التي ألبسها لباس الدين ، و اتصل بالثائرين و الناقمين في كل من البصرة و الكوفة و غيرهما و تبادل معهم الكتب و الرسل ، و لما صار له مؤيّدون ، اجترأ على أن يتّهم أبا بكر و عمر و عثمان على أنهم تعدّوا على حق علي رضي الله عنه في الخلافة و أن عليّاً هو الخليفة بعد النبي (صلى الله عليه و سلم) و أنه يستمدّ الحكم من الله ، و بذلك هيأ العقول إلى الاعتقاد بأن عثمان اغتصب الخلافة من علي وصي الرسول (صلى الله عليه وسلم) و أخذ يؤلّب الناس على عثمان و على وُلاته فقال لهم : " إن عثمان أخذ الخلافة بغير حق و هذا عليٌ وصي الرسول صلى الله عليه وسلم فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه ، و ابدءوا بالطعن على أمرائكم فإنهم أساءوا و ظلموا و أكلوا الأموال ، و أظهِروا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر تستميلوا الناس وَ ادْعُوهم إلى هذا الأمر " .

---

١٠٦ - (: الطبري ٥ / ٧٠) .

وصلت هذه الأكاذيب إلى كل الأقطار ، و منها إلى المدينة فلما سمع بها عثمان رضي الله عنه أرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة و أسامة بن زيد إلى البصرة و عبد الله بن عمر إلى دمشق و عمار بن ياسر إلى الفسطاط و رجالاً آخرين سواهم فرجع الجميع و لم ينكروا شيئاً إلا عمار بن ياسر فقد تأخر في مصر و استمع إلى ما كان يشاع ضد الخليفة و ولاته .

فأرسل الخليفة رضي الله عنه إلى كل الأقطار أن من له شكاية ضده أو ضد وُلاته فليأت في موسم الحج عام ٣٤هـ و طلب الولاة كذلك ، فجاء معاوية من الشام و عمرو بن العاص من مصر و عبد الله بن سعد ابن أبي السرح من المغرب و سعيد بن العاص من الكوفة و عبد الله بن عامر من البصرة و استشارهم في الأمر و افتراق الكلمة ، فكل أدلى برأيه و قد أشار بعضهم بالحزم في أمر المفسدين و قطع دابر فتنتهم ، فأبى رضي الله عنه خوفاً من أن يظلم على أحد أو يفتح باب فتنة . ثم رجع الوُلاة إلى ولاياتهم بعد الحج و جاء معاوية إلى المدينة و عرض على الخليفة أن يذهب معه إلى دمشق لتكون مقر حكمه فهي أكثر أمناً و ولاءً للخليفة ، فأبى رضي الله عنه و قال : " أنا لا أبيع جوار رسول الله صلى الله عليه و سلم بشيء و إن كان فيه قطع خيط عنقي " .[١٠٧]

---

١٠٧ - (الطبري ٥ / ١٠١) .

الفتنة تبلغ ذروتها

توجه وفد مصر في شهر رجب عام ٣٥هـ إلى المدينة ، و كتب عبد الله بن سعد بن أبي السرح إلى الخليفة يعلمه بقدوم هؤلاء القوم منكرين عليه في صفة معتمرين ، فلما اقتربوا من المدينة ، أمر عثمانُ رضي الله عنه عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يخرج إليهم و يردّهم إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة . فانطلق علي بن أبي طالب إليهم و هم بالجحفة ، وكانوا يعظمونه و يبالغون في أمره ، فردّهم و أنّبهم فرجعوا إلى أنفسهم بالملامة ، و قالوا : هذا الذي تحاربون الأمير بسببه . و تحتجون عليه به . و سألهم عليٌّ ماذا ينقمون عليه ؟ فذكروا أشياء ، فأجاب عليٌّ عن ذلك و علّل لعثمان و ردّهم إلى قومهم ، فرجعوا خائبين من حيث أتوا و لم ينالوا شيئاً مما كانوا أمّلوا و رامـوا . و رجع عليٌّ إلى عثمان فأخبره برجوعهم عنه ، و أشار عليٌّ على عثمان بالرأي ، فاستمع عثمان نصيحته و قابلها بالسمع و الطاعة [١٠٨] .

و تكاتب أهل مصر و أهل الكوفة و أهل البصرة و تراسلوا و زُوِّرَت كُتُبٌ على لسان الصحابة الذين بالمدينة و زعموا أنهم تلقّوا من عليّ و طلحة و الزبير كتباً يدعونهم بها إلى الثورة على عثمان . و لاشك أن لابن السوداء نصيباً كبيراً و دوراً فعالاً في عملية التزوير و الإثارة على الخليفة .

---

[١٠٨] – (و فيه دليل على حبهما و تصادقهما و تناصرهما حبّاً عميقاً مترابطاً) .

فلما كان في شهر شوال سنة ٣٥ هـ و قد خطّطوا الأمر بتنظيم دقيق ، خرج أهل مصر و أميرهم الغافقي بن حرب العكي و معهم ابن السوداء و خرج أهل الكوفة و عليهم عمرو بن الأصم و أهل البصرة و عليهم حرقوص بن زهير السعدي و عدد كل وفد بين ٦٠٠ و ١٠٠٠ ، و نزلوا على مقربة من المدينة ، و سمع أهل المدينة بما يحدث و أبوا أن تقتحم عليهم المدينة و تكلموا في الأمر ، فأمر الخليفة علياً فخرج و خرج معه طلحة و الزبير و محمد بن مسلمة و كبار الصحابة . و لما رأى المنحرفون استعداد الصحابة للدفاع عن دار الهجرة ، وقع الخوف في نفوسهم ، فعندما كلمهم عليٌّ أظهروا الطاعة و الخضوع و أبدوا الرغبة في العودة إلى بلادهم و بالفعل فقد رجعوا أدراجهم و ظن عليٌّ و المسلمون أن الخطر قد زال عن المدينة ، و لكنهم عادوا إليها و حاصروا دار الخليفة رضي الله عنه . و عندما سألهم عليٌّ عن سبب رجوعهم قالوا : إن الخليفة قد أرسل كتاباً لقتلنا . قال عليٌّ : فما بال أهل الكوفة و أهل البصرة ، فالطرق مختلفة و قال : و الله هذا أمر أُبرِم بالمدينة .

هنا يبدو الاتفاق المسبق و التخطيط الدقيق لدخول المدينة على حين غفلة من أهلها و هنا يظهر تلفيق الكتاب الذي أظهره المصريون .

و كلم الناس أمير المؤمنين في أمر الكتاب فقال رضي الله عنه : " و الله ما كتبت و لا أمليت و لا دريت بشيء من ذلك " . [١٠٩]

---

[١٠٩] – (التاريخ الإسلامي ٣ / ص ٢٤٦/٥ و الطبري ٥ / ١٠٥ ، و العواصم من القواصم بتحقيق و تعليق محب الدين الخطيب ص ٥٩) .

استشهاده رضي الله عنه

حوصر الخليفة بعـدئـذ ، و ضيّقوا عليه ، و لزم كثير من الصحابة بيوتهم ، و سـار إليه جماعـة من أبناء الصحابـة بأمـر آبائهم فوقفـوا على باب دار عثمان و هـم الحسن و الحسـين و عبد الله بن الـزبـير و عبد الله بن عباس و عبد الله بن عمر و محمد بن طلحة و صاروا يحاجّون عنه و يناضلون دونه أن يصل إليه أحـد من الثوار و انقطع رضي الله عنه عن المسجد ، و قال أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده و أن ينطلق إلى منزله ، و عنده من أعيان الصحابة و أبنائهم جمّ غفير ، و قال لأرقّائه : من أغمد سيفـه فهـو حـرّ .

و لما استأذنه عليٌّ للقتال و الدفاع عنه ، قال عثمان : أنشد الله رجلاً رأى لله حقاً و أقـرّ أن لي عليه حقاً أن يهـريق في سببي ملء محجمة من دم أو يهـريق دمه فيّ ، فأعـاد عليٌّ عليه القول فأجابه مثل ما أجابه [110] .

ثم دخل عليٌّ المسجـد ، فقالوا : يا أبا الحسن تَقَدَّمْ فصلِّ بنا . فقال : لا أصلي بكم و الإمام محصور ، و لكن أصلي وحـدي . فصلّى وحـده ثم انصـرف إلى بيتـه . و اشتد على عثمان الحال و ضـاق المجـال و نفـد ما عنده من الماء ، فاستغاث بالمسلمين في ذلك [111] . فـركب عليٌّ بنفسه

[110] – (طلب عليّ رضي الله عنه الدفاع عنه و القتال مرة بعد مرة ، ما كان إلا لحبه إياه و لاعترافه فضلَه ، فمن أين دخلت العداوة و البغض في قلبه لعثمان بن عفان ؟) .

[111] – (سبحـان الله أ وَ يَعِـزُّ على الخليفة قطرات من الماء ؟ فيستغيث بالمسلمين في ذلك ؟ إنّ هذا لشيء عجيب) .

و حمل معـه قِـرَباً من الماء فبالجهـد ، حـتى أوصلها إليه بعـد ما ناله من جهالة أولئك كلام غليظ و تَنَفُّـرٌ لـدابّته [112] . و طلب الثائـرون من عثمان أن يخلـع لهم أمـرهم فرفض رضـي الله عنه ذلك وكان ذلك عملاً بوصية رسـول الله صلـى الله عليه و سلم ، فقـد روى الترمـذي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يا عثمان لعل الله يُقَمِّصُكَ قميصاً ، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلع " . [113]

لما حان موسم الحج سارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى مكة ، و طلب الخليفة من عبد الله بن عباس و كان على الباب مع أبناء الصحابة . أن يحج بالناس هذا العام فخرج إلى مكة امتثالاً لأمره [114]

و بعـد حصار استمر ٢٢ يوماً وصلت الأخبار إلى المدينة أن جنداً من الشام قـد وصل إلى وادي القرى فخـاف الثائـرون على أنفسهم ، و أرادوا الـدخول في دار عثمان فمنعهم من على بابها : الحسن و الحسين ابنا عليٍ و عبد الله بن الزبير و محمد بن طلحة و مروان و سعيد بن العاص وغـيرهم فتسوّروا الـدار من خوخـة بينها و بين دار عمرو بن حـزم و سيدنا عثمان يقسم على أبناء الصحابة أن يلقوا سلاحـهم و لا يقاتلوهم و عزم عليهم في ذلك أشـد العزم ، و هجم الثوار على الخليفة و بين يديه المصحف و هو يتلو القرآن ، و ضربه الغافقي بن حرب العكي بحديدة معه

[112] – (هـذا العمل عمل الحب و الصـداقـة أم عمل البغض و العـداوة ؟) .

[113] – (الترمـذي رقـم الحـديث / ٣٧٠٥) .

[114] – (لماذا قـال لعبد الله بن عباس أن يحج بالناس و هو هاشمي و عثمان بن عفان من بني أمية ؟ هذا يدل على الحب و الاعتراف المتبادل بين الإثنين) .

وقامت الزوجة البارة نائلة، تدافع عن زوجها فقطع قتيرة بن حمران أصابعها ثم ضرب الخليفة سودان بن حمران وكنانة بن بشر التجيبي وعمرو بن الحمق حتى قتلوه ونهبت داره، كما نهبت بيت المال وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وبلغ الخبر علياً رضي الله عنه فأقبل مغضباً وقال لابنيه : كيف قتل أمير المؤمنين و أنتما على الباب ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وتكلم على غيرهما[١١٥] .

كان استشهاده رضي الله عنه قبيل غروب الشمس صائماً محتسباً ومضى إلى ربّه نموذجاً خالداً في سجل التاريخ . وكان ذلك في يوم الجمعة الثامن عشر من شهر ذي الحجة عام ٣٥هـ الموافق ٦٥٦/٥/٢٠م.

و أي تضحية فوق هذه التضحية حيث يكون الرجل وحيداً في بيته في دار خلافته في مدينة نبيه صلى الله عليه وسلم و هو أمير المؤمنين وله أنصار وأعوان وجيش عَرَمْرَمٌ، فسبحان الله الذي لا إله إلا هو كيف رضي الخليفة أن يكون ضحيًّا هو بنفسه ولا تَبِضُّ قَطْرَةٌ من دمٍ مسلمٍ من أنصاره أو محاربيه و أعدائه وأن يُحْرَمَ من حبة من طعام وأطعم أهلَ المدينة حينما قُحطُوا، و عزَّتْ عليه قطرةٌ من الماء و سقاهم حينما ظَمِئوا، و جهَّز لهم حينما أعسروا واشترى لهم بئراً وتصدّق عليهم

---

[١١٥] – (على ما يدل هذا الضرب و الشتم ؟ أعَلَى الحب والصداقة والتوادد أم على الحقد والعداوة والتباغض؟).

صدقةً جاريةً إلى يوم القيامة . رحم الله الخليفةَ المظلومَ و أسكنه دارَ النعيم و رفع درجاتِه في أعلى علّيين .

و هكذا رجال الآخرة الذين يَفِدون بأجسادهم و أرواحهم و أموالهم حفاظاً على الكيان الإسلامي و تضحيّةً لحرمات الله و حرم رسوله صلى الله عليه وسلم و احتراماً لدم المسلمين و عِرضهم ، يُؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة، فصبرٌ جميل و الله المستعان على ما تصفون . و الدنيا كلها هكذا ، ابتلاء و فتنة و محنة ، و من ينجو من بلائها ؟ و إن أشدَّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل . فإلى الله المُشْتكى و منه نطلب العون و الثبات و الاستقامة في جميع أمورنا الدينية و الدنيوية ، و الحمد لله على كل حال و إنا لله و إنا إليه راجعون .

صلّى عليه الزبير و دَفَنه بين المغرب و العشاء في حَشٍّ كوكبٍ بالبقيع و إنه قد أوصى بذلك إليه . وكان سِنُّه ٨٢ عاماً و مدة خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثنى عشر يوماً ، (من ٢٣/١/١هـ إلى ٣٥/١٢/١٨هـ) رضي الله عنه و رحمه و جمعنا به في الفردوس الأعلى ، آمين .[١١٦]

و صدق عباس محمود العقاد في كتابه " العبقريات الإسلامية " حيث قال : كان مَصْرَعُ عثمانَ شرّاً مطبَّقاً ..... (قتل رضي الله عنه) و هو ظمآن محصور في داره بغير نصير ، و لو شاء لكان له ألوف من النُصَراء يُريقون البحار من الدماء ، حيث عزَّتْ قطرةُ الماء .[١١٧]

---

[١١٦] – (التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر / و البداية و النهاية لابن كثير / و تاريخ الأمم و الملوك للطبري . و تاريخ الخلفاء للسيوطي / ١٤٥) .

[١١٧] – (العبقريات الإسلامية / ٧٠٩) .

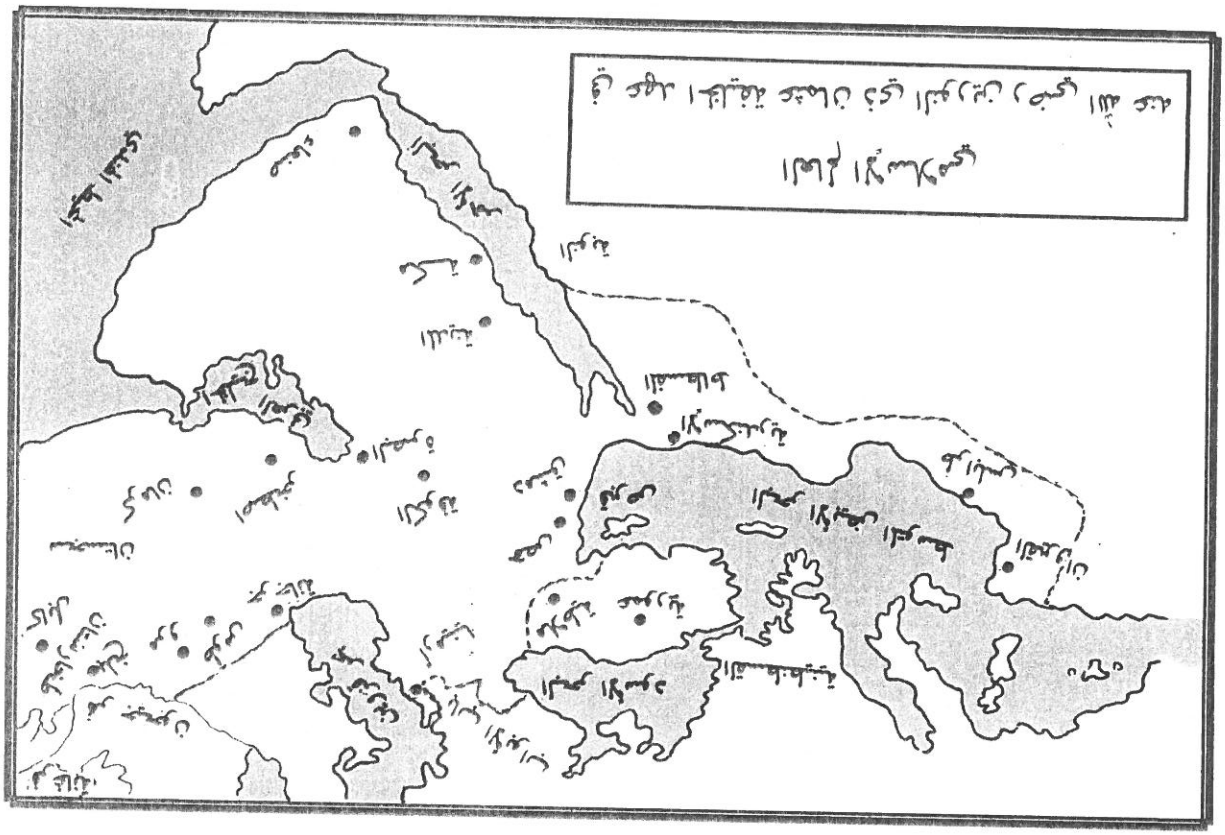

أسرة سيدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه

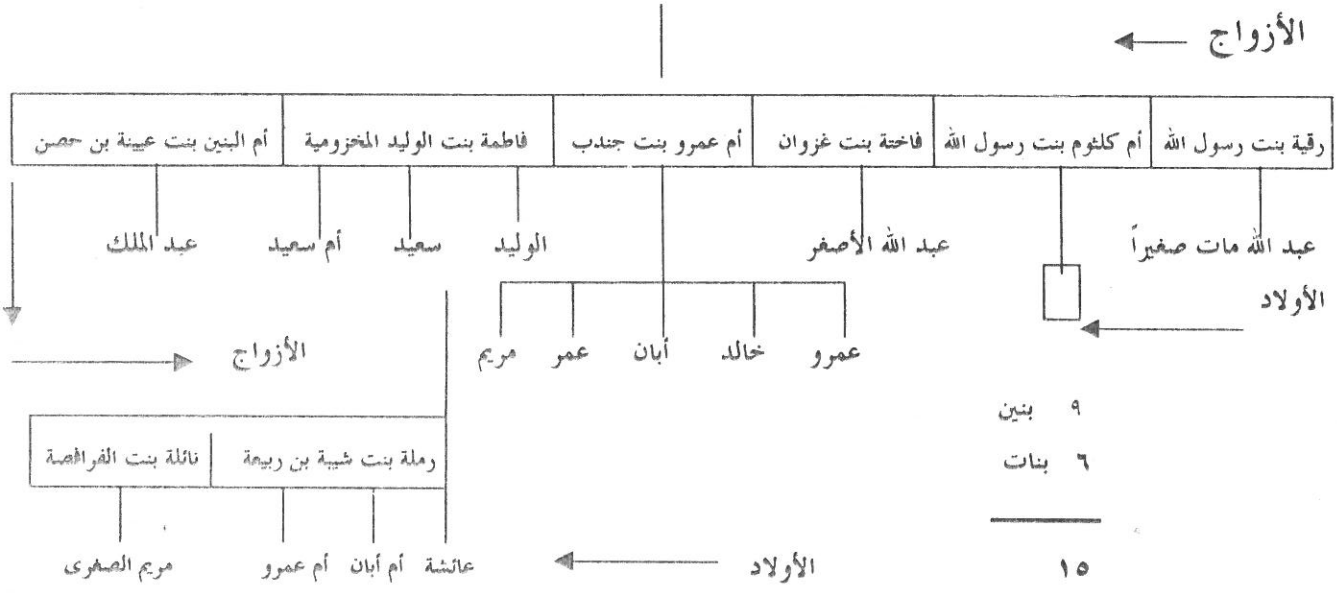

الفصل الرابع

****

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

خلافته من ٣٥/١٢/٢٤هـ ـــ إلى ٤٠/٩/١٧هـ

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ولادته و نشأته و فضله

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي ، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم و زوج بنته فاطمة الزهراء . و رابع الخلفاء الراشدين و أحد العشرة المبشرين بالجنة . ولد رضي الله عنه بمكة قبل البعثة بعشر سنوات ، و نظراً إلى كثرة أولاد أبي طالب قد طلب منه النبي صلى الله عليه وسلم أن يتربّى عليٌّ في بيته ، فكان معه منذ صغره، يتأدّب بأدبه و يتخلّق بخُلُقه . فلما بُعث صلى الله عليه وسلم ، فكان أولَ من أسلم من الصبيان ، و كان يكتم إسلامه ، فلما عرفه أبو طالب سأله : ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبتِ آمنتُ بالله و برسول الله و صدّقته بما جاء به ، و صليت معه لله و اتبعته ، فزعموا أنه قال له : " أما إنه لم يَدْعُكَ إلا إلى خير فَالْزَمْهُ " .[118] أمّا أبو طالب فلم يؤمن بل مات كافراً على ملة عبد المطلب و أُمُّ عليٍ هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف كانت من السابقات إلى الإسلام و هاجرت إلى المدينة .[119]

[118] – (سيرة ابن هشام ١ / ٢٤٦) .

[119] – (تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم ١ / ٢٦٥) .

لازم عليٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم طوال حياته في مكة المكرمة ، يُعينه في نشر الإسلام ، و كان عوناً للوافدين إلى مكة بحثاً عن الحق أو رغبةً في الإسلام ، فهو الذي أخذ أبا ذر الغفاري إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فسمع من قوله و أسلم مكانه .[120]

الهجرة

لما هاجر الرسول صلى الله عليه و سلم من مكة إلى المدينة ، طلب منه أن ينام على فراشه متسجّياً ببردته فضرب بذلك أروع مثال في التضحية و الإخلاص و الإيمان . ثم بقي في مكة ثلاثة أيام يعيد إلى الناس الودائع التي كانت عند النبي صلى الله عليه و سلم . ثم خرج من مكة ، يسير الليل و يكمن النهار حتى قدم المدينة و قد تَفَطَّرتْ قدماه ، و نزل على كلثوم بن الهدم (بقباء) و هناك منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما عرف النبي صلى الله عليه وسلم بوصوله قال : " أُدعوا لي علياً " ، قيل لا يقدر أن يمشي . فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم و اعتنقه و بكى رحمةً لما بقدميه من الورم ، و تفل في يديه و أمرّهما على قدميه ، فلم يشتكهما بعد حتى قُتِلَ .[121]

****

[120] – (البخاري ٤٩٩/١) .

[121] – (الكامل ٢ / ٧٥ دار صادر بيروت) .

حياته في العهد النبوي

زوّج الرسول صلى الله عليه و سلم بنتَه فاطمةَ عليّاً في السنة الثانية بعد الهجرة و جهّزها في خميل و قربة و وسادة أدَمٍ حشوها ليف الإذخر ، و كانت معيشتهما معيشة زهد و تقشف و صبر و جهد . [١٢٢]

كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر و مبارزته مع الوليد ابن عتبة في ساحة بدر معروفة و كان معه في أحد ، و في الخندق جالَد عمرو بن عبد ودّ الذي كان يُقوَّم بألف فارس و قتله ، و في الحديبية كان كاتب وثيقة الصلح و في خيبر حمل اللواء و قتل بطل اليهود مرحباً و حمل باباً عند أحد الحصون و ما كان يستطيع حمله إلا أربعون رجلاً . [١٢٣] لم يشترك في غزوة تبوك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم خلّفه على أهله في المدينة و لما شكى إليه قول المنافقين طمأنه و قال له : " ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي " . [١٢٤]

و بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام في نفر من المسلمين فأقاموا ستة أشهر يدعوهم خالد إلى الإسلام فلم يجيبوا ، ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه و سلم

[١٢٢] – (المرتضى / ٤٠) .
[١٢٣] – (البداية و النهاية ٧ / ٢٢٥) .
[١٢٤] – (البداية و النهاية ٧ / ٢٢٥) .

عليَّ بن أبي طالب ، فقرأ عليهم كتابَ رسول الله صلى الله عليه و سلم فأسلمتْ همدان جميعاً ، فكتب علي رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بإسلامهم ، فلما وصل هذا الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرَّ ساجداً ثم رفع رأسه و قال السلام على همدان السلام على همدان . [١٢٥]

و لما بُعث أبو بكر رضي الله عنه أميراً على الحج سنة تسع ذهب بعده علي بن أبي طالب بآيات من سورة التوبة يقرأها على الناس يوم النحر ، فأقام أبو بكر للناس الحج فلما كان يوم النحر قام عليّ ابن أبي طالب فقرأ على الناس الآيات و أعلن أنه لا يدخل الجنة كافر و لا يحج بعد العام مشرك و لا يطوف بالبيت عريان و من كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له إلى مدته . [١٢٦]

لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم غسله عليٌّ و معه العباس و ابناه الفضلُ و قُثَمُ و شُقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم و أسامة بن زيد و أوس بن خولى و تولّوا دفنه صلى الله عليه و على آله و صحبه و سلم .

حياته في العهد الصديقي

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بُويع أبو بكر يوم الإثنين في سقيفة بني ساعدة و كانت فجأةً ثم بويع البيعة العامة في يوم الثلاثاء

[١٢٥] – (زاد المعاد ٢ / ٣٣) .
[١٢٦] – (ابن هشام ٢ / ٥٤٣) .

في المسجد النبوي . و قد حضر عليٌ في المسجد و بايعه ، و إنه لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات و لم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه .[١٢٧]

وكانت العلاقة بينهما ودّيةً للغاية ، و كان بينهما تعاون متواصل في مصلحة الإسلام والمسلمين و في الأمور الإدارية . كانا متحابَّين كأعضاء أسرة واحدة ، يصدق عليهم قول الله تبارك و تعالى " رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ " مشاركين في السرّاء و الضرّاء و الشدّة و الرخاء ، فقد روى كثير النّواء عن محمد الباقر أنه قال : " أخذتْ أبا بكر الخاصرةُ فجعل عليٌ رضي الله عنه يُسَخِّنُ يده (بالنار) فَيَكوِي بها خاصرةَ أبي بكر رضي الله عنه " .[١٢٨]

و لما توفي أبو بكر رضي الله عنه جاء عليٌ مُسرعاً باكياً و قال : " رحمك الله أبا بكر ، كنت ــ و الله ــ أول القوم إسلاماً و أكملهم إيماناً ، و أشدهم يقيناً ، و أخوفهم لله ، و أحوطهم على رسول الله صلى الله عليه و سلم و أشبهُهُم به هدياً و خُلُقاً و سَمْتاً و فضلاً ، و أكرمهم عليه و أوثقهم عنده ، فجزاك الله عن الإسلام خيراً " .[١٢٩]

---

[١٢٧] – (باختصار من البداية و النهاية ٢ / ٢٤٩) .

[١٢٨] – (المرتضى ص ٩٠ نقلاً عن الدر المنثور للسيوطي ٤ / ١٠١) .

[١٢٩] – (الجوهرة في نسب النبي و أصحابه العشرة ٢ / ١٢٦) .

حياته في العهد الفاروقي

كانت علاقة علي مع عمر مثل علاقته مع أبي بكر ، ثقة متبادلة و تقدير مشترك ، و تعاون على البر و التقوى ، و تسهيل مهمة الخلافة و التناصح و تبادل الرأي .

كان عليٌ لعمر ناصحاً أميناً ، و قاضياً في المعضلات حكيماً ، يفضّ المشكلات و يزيح الشبهات حتى أُثِرَ عن عمر قولُه " لو لا عليٌ لهلك عُمَرُ " و اشتهر في التاريخ و الأدب و ذهب مثلاً " قضية و لا أبا حسن لها " .[١٣٠]

قال نافع العيشي : دخلت حيرة[١٣١] الصدقة مع عمر بن الخطاب و علي بن أبي طالب ، قال : فجلس عثمان في الظل يكتب ، و قام عليٌ على رأسه يملي عليه ما يقوله عمر ، و عمر قائم في الشمس في يوم شديد الحرّ ، عليه بردان أسودان تزيَّا بأحدهما و لفَّ الآخَرَ على رأسه ، يُعِدُّ إبلَ الصدقة ، يكتب ألوانها و أسنانها ، فقال عليٌ لعثمان : في كتاب الله : " يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ، إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ "[١٣٢] ثم أشار بيده إلى عمر و قال : هذا القويُّ الأمينُ .

---

[١٣٠] – (المرتضى نقلاً عن الاستيعاب / ٢٠١٥) .

[١٣١] – (الحيرة : الحظيرة) .

[١٣٢] – (سورة القصص / ٢٦) .

استخلف عمر عليّاً عند رحيله إلى القدس في رجب عام ١٦ ، فقام مقام الخليفة خير قيام .[١٣٣]

و قد زوّجه عليٌّ بنته أم كلثوم بنت فاطمة و هو دليل على إكرامه له و ارتباطه به .[١٣٤]

و سمّي أحد أولاده عمر ، كما سمّي أحدهم أبا بكر و سمّي الثالث عثمان ، و لا يسمّى الإنسان أبنائه إلا بأحب الأسماء و بمن يرى فيهم القدوة و المثالية .[١٣٥]

لما توفي عمر رضي الله عنه و قد سُجِّيَ بثوبه ، جاء عليٌّ فكشف الثوبَ عن وجهه ثم قال : " رحمة الله عليك يا أبا حفص ، فو الله ما بقي بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم أحد أحب إليَّ أن ألقى الله بصحيفته منك " و قال : إن موت عمر ثُلْمةٌ في الإسلام لا تُرتق إلى يوم القيامة[١٣٦] .

حياته في العهد العثماني

لقد مضى في الدروس الماضية كيف جاءت الخلافة إلى عثمان رضي الله عنه و كان عليٌّ أولَ المبايعين له . و كانت علاقته بعثمان رضي الله عنه مثل علاقته بالخليفتين قبله علاقة حُبّ

---

١٣٣ – (الكامل لابن الأثير ٣/ ٥٥) .

١٣٤ – (المرتضى ص ١١٤ نقلاً عن مسند الإمام أحمد) .

١٣٥ – (المرتضى / ١١١) .

١٣٦ – (المرتضى / ١١٤ نقلاً عن مسند الإمام أحمد) .

ونصح ، وكان عثمان رضي الله عنه يعترف بفضله وعلمه ويستشيره في جميع المهمات وكان موضع ثقة في المحنة التي ابتُلِيَ فيها رضي الله عنهما وعن الصحابة أجمعين، حيث كان مع أبنائه وصحابة آخرين يدافعون عن عثمان رضي الله عنهم إلى أن أقسم عليهم عثمان بالانصراف خشية أن يصابوا بأذى[١٣٧] .

عليٌّ أمير المؤمنين

بقيت المدينة بعد مقتل الخليفة عثمان خمسةَ أيام بلا أمير، وكان زعيمَ الثوار وقاتلَ عثمان الغافقيُ بنُ حرب العَكّيُ يدير شؤونها، وأتباعهُ هم الذين يسيطرون على أمورها و أهل المدينة و جُلُّهم من الصحابة وأبنائهم لا يقدرون على فعل شيء، و الثوار وهم من ثلاثة بلدان : أهل مصر وهم يرغبون في تولية عليٍّ وهو موجود ولكنه يرفض قبول طلبهم . وأهل الكوفة و يرغبون في الزبير بن العوام وهو يختفي عنهم و لا يرغب فيهم . وأهل البصرة يرغبون في طلحة بن عبيد الله ويطلبونه و لا يجدونه. لذا اضْطُرّ الكوفيون و البصريون أن يؤيدوا المصريين، وأمير المصريين هو أمير المدينة في تلك الظروف الحرجة.

وفي الحقيقة لم يكن في الأمة الإسلامية الموجودة و الجيل الذي لا يزال على قيد الحياة بعد أبي بكر و عمر و عثمان أحدٌ أحَقَّ بالخلافة و ولاية أمر المسلمين من عليّ بن أبي طالب.

---

١٣٧ – (و في هذا الوجيز من الكلام كفاية للرد على مزاعم أعداء الصحابة و الفرق الضالة من المعتزلة والخوارج والشيعة الرافضة).

جاء الثُّوار إلى علي رضي الله عنه وألـحّوا عليه أن يقبل الخلافـة، فـلما قال: لا . جمعـوا أهل المدينة وهدّدوا بقتل كبار الصحابـة مثل عليّ والـزبـير وطلحـة وغـيرهـم إن لم يتم اختيار أحـدهم للخـلافـة . فتوجـه الناس إلى علي وأصرّوا عليه أن يقبل الخلافـة وكان أهلاً لها وأحق بها، إنقاذاً للمسلمين من فتنة أشد خطراً وأكبر ضرراً من ذي قبل . وقد قَبِل في الـنهاية كارهـاً لينقذ هذا الوضع المتدهور و كان زاهداً فيها وفي الدنيا جمـيعها . وتمت بيعته من أهل المدينة و كبار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وذلك يوم الخميس ٣٥/١٢/٢٤هـ.

وفي الـيوم التالي وهـو يوم الجمعـة ٣٥/١٢/٢٥هـ صعـد على المنبر وبايعه من لم يبايعـه و كان أول خطبـة خطبها، أنـه حمـد الله وأثـنى عليه، ثم قال:

(إن الله تعـالى أنـزل كتاباً هـادياً ، بيّن فيه الخـير والشـر، فخـذُوا بالخـير ودَعُـوا الشرَّ، إن الله حـرّم حُرُماً مجهولـة ، و فضّل حُـرمةَ المسـلم على الـحُـرُم كلها، وشـدّ بالإخـلاص و التـوحيـد حقـوقَ المسـلمين ، والمسـلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويـده إلا بـالحق، لا يحلّ لمسلم أذى مسلم إلا بما يجب، بادروا أمـرَ العامة والخاصة، فإن الناس أمامكم ، وإنما خلفكم الساعـة تحدو بكم ، فتخفّفوا تلحقـوا ، فإنما ينتظر بالناس أخـراهم، اتقوا الله في عباده وبـلاده، فإنكم مسؤولون حـتى عـن البقاع والبهائم ، ثم أطيعوا الله ولا تعصوه ، وإذا رأيتم الخـير فخـذوا بـه وإذا رأيتم الشـرّ فـدعـوه ، { وَ اذْكُـرُوْا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيْلٌ

مُّسْتَضْعَفُـوْنَ فِيْ الأَرضِ تَخَافُـوْنَ أَنْ يَّتَخَطَّفَكُـمُ النَّاسُ ، فَـآوَاكُـمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ، وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُـمْ تَشْكُرُوْنَ [١٣٨]} [١٣٩].

وجـاءت هذه الخطبة في أوانها ومكانها ، وضـرب أمـير المؤمنين علي الوتَر الحسّاس، و وضع الأصبـعَ على موضع الـداء ، فكان أكبرَ ما ابـتُلِـيَ بـه المسلمون في هذه الفترة التاريخية هي الاستهانة بحرمة المسلم، والاجـتراء على سفك دمـه وإهدار كرامته ، و قـد كان خليفة المسلمين سيدنا عثمان رضي الله عنه هـدف هذه الفتنة العمياء ، وقـد و قع ذلك عـلى مـرأى ومسمـعٍ من الناس في مدينة الرسول وبجـوار مسجـده ومـرقـده ، وكان مـن واجب الخليفة الذي يلي أمر المسلمين أن يركّـز عـلى رعايـة حرمة المسلم ، ومخافـة الله عـزّ وجـلّ في ذلك و الحـث على تقوى الله في عباده وبلاده، حتى في البقاع والبهائم.[١٤٠]

وبعد أيام بدأ يمارس صلاحياته فعزل رضي الله عنه وُلاةَ عثمان الذين افـترى عليهم المفترون وشَنَعَ بهم أهلُ الفتنة ثم ظهرت براءتُهم، وقد عزلهم اجـتهاداً مـنه ظناً أن ذلك يطفئ نار الفتنة، ومن حقه كخليفة أن يجتهد في العزل والتعيين، وقد نصحه بعض الصحابة أن لا يعزلهم، لكنه رضي الله عنه أصرّ على اجتهاده.[١٤١]

تمكـن أكثـرُ الـوُلاة الجـددُ من أخذ البيعـة لعليٍّ رضي الله عنه ، إلا أن سهلِ بن حُنَيفٍ و الي الشام الجـديد لم يتمكن من الوصول بل ردّه

---

[١٣٨] - (سورة الأنفال / ٢٦).
[١٣٩] - (البداية والنهاية ٢٢٧/٧).
[١٤٠] - (المرتضى / ١٤٠).
[١٤١] - (الخلفاء الراشدون والدولة الأموية / ٩١).

خـيل معاويـة من تبوك مدعين أن بيعـة عليٍّ لم تنعقد لافتراق أهل الحـل والعقـد من الصحابـة في الآفـاق ، ولا تتم البيعـة إلا بهـم جميعـاً ، فامتـنع معاويـة من البيعـة حتى يُقتَل قتلـةُ عثمان ، ثم يختار المسلمون لأنفسهم إماماً وكان رضي الله عنه مجتهداً.[١٤٢]

موقف عليّ بعدَ البيعة

بويـع عليٌّ رضـي الله عنه والأمـة الإسلاميـة في دار الخلافـة تمر بفترة صعبة ومعقّـدة جـداً ، وقعت فيها حادثـة قتـل الخليفة الثالث في أبشـع شكل وأكثره قسوةً ووحشيةً ، والقاتلون ومن معهم من الـثوار المفسـدين لا يزالـون في قـوة، فكيف يأخـذ أمير المؤمنين الجـديـد الثأر من هؤلاء المجرمين؟

لمـا اسـتقـر أمـر بيعـة عليّ ، دخـل عليه طلحـة والـزبـير ورؤوس الصـحابـة رضي الله عنهم وطلبوا منه إقامة الحـد، والقصـاص عـلى قـتلة عـثمان، فوافق على ذلك إلا أنه كان يبحث عن الـوقت المناسب خشية من فتنة أكبر منهم ومن أعوان لهم[١٤٣].

وقـد تحـدث الإمـام (عـلـيٌّ رضي الله عنه) مـرةً في أمـر القَـوَد من قَتَلَة عثمان، فـإذا الجيش يبلغ عشرة آلاف يَشْرَعون الرماح، ويجهرون بأنهم كُلُّهم قتلة عثمان، فمن شاء القَوَد فليأخذ منهم أجمعين.

[١٤٢] – (اختصـار مـن كـتاب فقـه السيرة النبويـة مـع موجـز لتاريخ الـخلافـة الراشـدة / ٣٧٣).

[١٤٣] – (البداية والنهاية ٧/ ٢٢٨).

و كان رضـي الله عنه يقول لمن طلب القَـوَد " إني لست أجهـل ما تعلمون و لكـني كيف أصنع بقوم يملكوننا و لا نملكهم ؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكـم و ثابت إليهم أعرابكم و هم بينكم يسومونكم ما شاؤوا .. فهل ترون موضعاً لقـدرة على شيء مما تريـدون . [١٤٤]

و قد أجمع المؤرخون أن عليّاً رضي الله عنه كان يكره أولئك البُغَاةَ الـذين قتلوا عثمان ، و كان يتربّص بهم الـدوائر و يودّ لو تمكّـن منهم في أسرع وقت ليأخـذ حق الله فيهم ، غـير أن الأمر لم يجـر على النحو الـذي كان يتمنّـاهُ . [١٤٥]

و خـلاصـة ما وقـع : أن كُلاً من طلحـةَ و الزبـيرِ و معهما قلـة من الصحـابـة كان من رأيـهم أن الإسراع في ملاحقة القَتَلَةِ و الاقتصاص منهم هـو الأضمن لسلامة الأمر و درء الفتنـة و عرضوا على عليٍّ خَـدَماتهـم في ذلك ، و أن يستقـدموا لـه الجنود من البصرة و الكـوفة ليكونوا سنداً له ، و لكنه استمهلهُمْ رَيْثَمَا يُرَتّبُ خطته المفضلة لتنفيـذ الأمـر . [١٤٦]

معـركـة الجمل

خرج طلحة و الزبير من المدينة إلى مكة و بها عائشة و التي جاءت للحـج ثم خرجـا و معهما عائشة إلى البصـرة ، يطلبون بـدم عثمان

[١٤٤] – (العبقريات الإسلامية / ٩٢٤) .

[١٤٥] – (البداية و النهاية ٧ / ٢٣٤) .

[١٤٦] – (البداية والنهاية ٧ / ٢٣٥ ، و فتح الباري لابن الحجـر ٤٦/١٣) .

رضي الله عن الجميع . والذي تمّ بعد ذلك، هو أن كلاً من الطرفين سلك اجتهاده في اتباع السبيل الأمثل إلى الأخذ بدم عثمان ، فكان أن تلاقي أولئك الذين رأوا الإسراع في الاقتصاص ، في البصرة ، وفيهم عائشة أم المؤمنين معها ابن اختها عبدالله بن الزبير وطلحة والزبير وجمع كبير من الصحابة . وكان قصدهم تذكير أهل البصرة بضرورة التعاون لمحاصرة قَتَلَةِ عثمان والثأر منهم.

وعندئذ توجّه جيش علي رضي الله عنه إلى هناك (البصرة) لإصلاح الأمر وجمع الكلمة، فتواجه الكل على ذلك الصعيد، وليس في عزم أيّ منهم أن يبدأ قتالاً أو يفجّر فتنةً[١٤٧].

توجه القعقاع بن عمرو، رسولاً من قِبَلِ عليّ رضي الله عنه إلى عائشة قائلاً: أيّ أُمَّاه ما أقدمكِ هذا البلد ؟ فقالت: الإصلاح بين الناس. ثم توجه إلى كل من طلحة والزبير فسألهما السؤال ذاته فقالا: ونحن كذلك ما جئنا إلا للإصلاح بين الناس . وتكلّم الجميع وتبادلوا الرأي واتفقوا على أن يترك الأمر بين يدي علي رضي الله عنه ، على أن لا يَدَّخِرَ وُسعاً في إقامة حدّ الله على قتلة عثمان فور تمكنه من ذلك . ورجع القعقاع إلى علي وأخبره بما تمّ الاتفاق عليه ، وأشرف القوم على الصلح، وخطب عليٌّ في الناس حامداً الله على نعمة الصلح والوفاق، وأعلن أنه مرتحل من الغد.....[١٤٨]

---

[١٤٧] – (فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة للدكتور سعيد رمضان البوطي / ٣٧٢).

[١٤٨] – (البداية والنهاية / ٢٢٧٢).

ولكن الأمور تطورت بعد ذلك.

فما إن أعلن عليٌّ رضي الله عنه الصلح و الوفاق و أبلغ الناسَ أنه مرتحل من الغد ، حتى اجتمع رجال من رؤوس الفتنة فيهم الأشتر النخعي وشريح بن أوفى وعبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء وسالم بن ثعلبة وغلام بن الهيثم ... ولم يكن فيهم بحمد الله واحد من الصحابة ، كما قال ابن كثير ، فتذاكروا في خطورة أمر التصالح عليهم، وأن اتفاق الصحابة يعني إحداق الخطر بهم .. وقال منهم قائل: فَلْنُلْحِقْ إذن عليّاً بعثمان ؛ ..

ولكن عبدالله بن سبأ سخَّف هذا الرأي وحذّر منه، ثم قال لهم : إن نجاتكم في مخالطة الناس ، فإذا التقى الناس فَأَنْشبُوا الحرب والقتال بين الناس ، ولا تَدَعُوهم يجتمعون ، وسيمتنع من حولكم بالقتال، دفاعاً عن نفسه .. وتفرق رؤوس الفتنة بعد أن اتفقوا على هذا الرأي.

وتوجه عليٌّ في اليوم الثاني مرتحلاً ، وتوجه على أثره كل من طلحة والزبير، وقد تأكد الصلح والاتفاق ، وبات الناس بخير ليلة ، وبات قتلة عثمان بشرّ ليلة، وباتوا كذلك بشر ليلة فيما بعد.

أما عبدالله بن سبأ وصحبه فقد اتفقوا على أن يثيروا الحرب من الغَلَس ويستدرجوا الناس إليها مهما كلف الأمر.

ونهض هؤلاء المتآمرون قبل طلوع الفجر، وهم قريب من ألفي رجل، فانصرف كل فريق إلى قُراباتهم فباغتوهم وهجموا عليهم بالسيوف، فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم، وهَبَّ الناس من رُقادهم إلى السلاح، وقالوا: طَرَقَتْنا أهل الكوفة ليلاً وبيّتونا وغدروا بنا،

ظـانّين أنها خطة مدبَّرة من عليّ رضي الله عنه . وبلغ الأمـرُ عليّاً وقـال : مـا للناس؟ فتصايح من حـولـه : بيّتنا أهل البصـرة وغـدروا بنا . فثار كـل فريق إلى سلاحه ولبسوا اللامة وركـبوا الخيل، دون أن يعلم أحـد بواقـع الأمـر وحقيقته . وقامت الحرب على سـاق وتبـارز الفرسان، وقـد اجـتمـع مع عـليّ عشـرون ألفاً ، والتفّ على عائشة ومن معها قرابـة ثلاثين ألفاً . هذا والسائبة أصحـاب ابن السـوداء -قبّحـه الله- لا يفـتـرون عن القتـل . ومنادي عـليّ ينـادي: ألا كُفُّـوا، ألا كُفُّوا، فلا يسمع أحد.[١٤٩]

وفي تلـك الأثـناء ، ومـع شـدّة الهـرج والقتـل ، كان إذا تـلاقـت الوجـوه المتعارفـة تحت مظلـة الإيمان والمشدودة إلى صحبة رسـول الله صـلى الله عليه وسلـم، تحـاجـزوا وكـفّ كل منهم عن الآخـر ، من أيّ الأطـراف كانوا.

روى البـيهقي موصـولاً قال: أخـبرنا أبوبكـر محمد بن الحسن القاضـي يـروي بسنده عن حرب بن الأسود الـدؤلي قـال: لما دنا عليّ وأصـحـابـه مـن طلحـة والزبـير ودنت الصفوف بعضها من بعض، خـرج عليٌّ وهو على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنادى: ادعوا لي الـزبير بن العوام، فدُعـيَ له الزبير، فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما. فقـال عليّ: يا زبـير نشدتك الله أتذكـر يوم مَـرَّ بكَ رسول الله ونحـن في مكـان كـذا وكـذا، فقال: يا زبـير ألا تحب عليّاً ؟ فقلتَ : ألا أحب

[١٤٩] - (تاريخ الطبري: ٥٠٦/٤ ، والبداية والنهاية ٢٤٠/٧).

ابـن خـالي و ابـن عمـي ومن على ديـني ؟ فـقـال صلى الله عليه وسـلم: يا زبـير أما والله لَتُقَاتِلَنَّهُ و أنت له ظالم . فقال الزبـير : بلـى ، والله لقد نسيته منذ أن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم ذكرته الآن، والله لا أقاتلك أبداً . ورجع الزبير على دابته يشقّ الصفوف.

ولمـا سـقط بعـير عائشـة رضـي الله عنها عـلى الأرض وحُمل هودجُهـا بعيداً عن ساحـة الهـرج، جـاء إليها عليٌّ رضي الله عنه مسلّماً ومستفسـراً عـن حالها، وقـال لهـا: كيف أنت يا أُمَّـهْ ؟ قالت: بخير . فقـال: يغفـر الله لـك . ثم جاء وجوه الناس والصحابة يسلّمون عليها ويطمئنون على حالها[١٥٠].

وسـار الزبير ونزل وادياً يقال له وادي السباع، لما نام جاءه عمرو بن جرموز فقتله غيلةً واحتزّ رأسه وذهب به إلى عليٍّ، واستأذن الدخول ظنّاً منه الـتقرب إلى عليٍّ، فقال عليٌّ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (بشّر قاتلَ ابن صفيةَ بالنار)[١٥١].

أمـا طلحة فقد قُتِلَ بالمعركة وقد قال صلى الله عليه وسلم: (إن طلحة شـهيد يمشي على وجه الأرض)، رضي الله عن الجميع . قُدّر عدد القتلى في هـذه الواقعة المنكرة عشرة آلاف من جيش البصرة وخمسة آلاف من جيش عـلي. ولا شك أن علياً وطلحة والزبير وعائشة من المبشرين بالجنة، وهذا يعني حسن الخاتمة[١٥٢]

[١٥٠] - (البداية والنهاية ٢٤١/٧).

[١٥١] - (البداية والنهاية ٧ / ٢٤٢).

[١٥٢] - (التاريخ الإسلامي ٣/ ٢٧١).

توقير عليٍّ لعائشة

جهّز عليٌّ رضي الله عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بكل ما تحتاج من زاد و مال و متاع و أرسل معها أخاها محمد بن أبي بكر مع جماعة من الرجال ، و اختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات إكراماً لها ، و لم تُصَبْ رضي الله عنها إلا بخدش من سهم . و لما جاء موعد الرحيل أتاها عليٌّ فوقف لها و حضر الناسُ و ودَّعَتْهم و قالت : يا بَنيَّ لا يعتب بعضنا على بعض ، إنه و الله ما كان بيني و بين عليٍّ إلا ما يكون بين المرأة و بين أحمائها ، و إنه على معتبتي لَمِنَ الخِيَارِ ، فقال عليٌّ : صَدَقَتْ و الله ، ما كان بيني و بينها إلا ذاك . و إنها لزوجة نبيكم في الدنيا و الآخرة . و سار عليٌّ مودّعاً و مشيّعاً أميالاً و سرّح بنيه معها بقية اليوم ، و كان يوم السبت مستهل رجب عام ٣٦هـ .[١٥٣]

ذهبت رضي الله عنها إلى مكة و مكثت فيها حتى موسم الحج ، و بعد الحج مضت إلى المدينة و بقيت فيها حتى توفيت عام ٥٨هـ .

****

[١٥٣] - (البداية و النهاية ٧ / ٢٧١ ــ فالخليفة الراشد عليّ ابن أبي طالب يودع عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها و يشيّعها و يكرمها و يذكر فضائلها أما شيعته (و ليسوا بشيعته) يرفضونها و يقعون فيها و يرمونها بما لم يعرفه التاريخ) .

وقعة صفّين

بعد موقعة الجمل ولّى عليٌّ رضي الله عنه على البصرة عبدَالله بن عباس وكان أهلها قد أعطوا البيعة وسار هو إلى الكوفة وجعلها مقرّ خلافته.

لقد سبق أن معاوية رضي الله عنه لم يبايع عليّاً . وبعد استقرار علي في الكوفة العاصمة الجديدة أرسل جريرَ بن عبدالله البجلي إلى الشام يدعو معاوية إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ، لأنه لا يجوز مخالفة الخليفة وعصيانه، وعدَّ عليٌّ رضي الله عنه امتناع معاوية عن البيعة خروجاً على جماعة المسلمين وإمامهم ويجب عليه إجبار معاوية على الخضوع لجماعة المسلمين، فإن لم يستجب لمطلبه يحاربه حتى يفيء إلى أمر الله.

وكان كل فريق مقتنعاً بحجته كل الاقتناع ، ولم يكن هناك طمع أو مكر أو خداع كما روّج الرافضة المبغضون لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعليّ رضي الله عنه يجمع الجيوش لدرء الفتنة، و لعل الباغين يرجعون إلى جادة الصواب . ومعاوية ومن معه رضي الله عنهم يعبّئون القوى للقصاص من قَتَلَة الخليفة الشهيد من السفّاكين المارقين، وكثير منهم مندسُّون في جيش عليٍّ رضي الله عنه، وهكذا جُر كلا الفريقين إلى القتال.

لما عزم عليٌّ رضي الله عنه على الذهاب إلى الشام لإخضاع معاوية ومن معه، جاء إليه ابنُه الحسنُ فقال: يا أبتِ دَعْ هذا، فإن فيه سفكَ دماء

المسلمين ووقوع الاختلاف بينهم، فلم يقبل منه ذلك، بل صمّم على الخروج للشام، وخرج رضي الله عنه في تسعين ألفاً في شهر ذي الحجة ٣٦هـ.

لما بلغ معاويةَ خبرُ خروج عليٍّ، كتب إلى أجناد الشام فتأهبوا وخرجوا إلى نحو الفرت من ناحية صِفّيْن بين الرقّة وحَلَبَ (شمال الشام) و عددهم يقارب عدد جيش عليٍّ . ونزل الجيشان في سهل صِفّين.

تردّد الرسل بين الجانبين قُرابةَ شهرين ، فعليٌّ رضي الله عنه يدعو معاويةَ ومن معه إلى بيعته ويطمئنه أن القصاص من قتلة عثمان آت في ميقاته، ومعاوية يدعو علياً قبل البيعة إلى ملاحقة قَتَلة عثمان فهو ابن عمّه وهو أولى الناس بالمطالبة بدمه.

بدأت المعركة بمناوشات بالرماح بسبب الاختلاف على الماء خلال ذي الحجة عام ٣٦هـ و استمرت المراسلات لمدة شهرين بدون جدوى.

ثم بدأ القتال في شهر صفر عام ٣٧هـ واستمر أسبوعاً كاملاً دون أن يظهر انتصار حاسم لأحد الفريقين، وخاف المخلصون أن يَهلك المسلمون ، فتمنّوا ما ينقذهم ويوقف القتال، وبعد استشهاد عمار بن ياسر رضي الله عنه اتفق الفريقان على التحكيم لإيقاف تلك المقتلة الكبرى، وأخبر بها معاوية رضي الله عنه ففرح بها ورفعت المصاحفَ على الرماح ونادى المنادي: "هذا كتاب الله بيننا وبينكم" انطلاقاً من قوله تعالى: { وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا

بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ }، فهاب الناس القتال وتوقفت الحرب ولله الحمد.

ثم كتبت صحيفة التحكيم في ٣٧/٢/١٥هـ وشهد عليها رجال من الطرفين، ثُمَّ انتدب عليٌّ أبا موسى الأشعري و انتدب معاويةُ عمرو بن العاص واتفق الحكمان على الاجتماع ودراسة الأمر في أَذرُحَ بِدُوْمَةِ الجَنْدَل في شهر رمضان.

وهكذا انتهت هذه الوقعة المؤلمة والتي ذهب ضحيتها تسعون ألفاً من الجانبين وقد دُفنوا في سهل صفين وكانوا يصلون على موتاهم ويترحمون عليهم، ولم يعرف عن أحد منهم تكفير الآخر، توجّه عليٌّ رضي الله عنه بعد يومين إلى الكوفة ومعه بقية الجيش وذهب معاويةُ ومن معه إلى دمشق[١٥٤].

ولا شك أن علياً ومعاوية رضي الله عنهما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكلهم من المحسنين، إلا أنهم لا يستوون { وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ }** [١٥٥].

---

[١٥٤] – (البداية والنهاية ج٧ / والتاريخ الإسلامي ج٣ / والخلفاء الراشدون والدولة الأموية / وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة / والمرتضى).

** من أراد الزيادة في الموضوع فليقرأ ترجمة معاوية رضي الله عنه في كتاب سير أعلام النبلاء والتي يبين فيها فضل علي رضي الله عنه.

[١٥٥] – الحديد: ١٠.

اجتماع الحكمين

لما حان الموعدُ وهو شهر رمضان عام ٣٧هـ أرسل عليٌّ رضي الله عنه أبا موسى الأشعري في جمع من الصحابة وأهل الكوفة وأرسل معاويةُ عمرو بن العاص في جمع من أهل الشام وفيهم بعض الصحابة، واجتمعوا في دُوْمَة الجَنْدَل.

أما ما حدث بين الحكمين رضي الله عنهما فقد رويت حوله روايات كثيرة أكثرها باطل، والذي يثبت منها بعد تحقيق الروايات هو ما يلي:

اتفقا على أن يتخلى عليٌّ ومعاويةُ رضي الله عنهما عن الخلافة وأن يكون الأمر فيمن تُوُفِّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ[١٥٥].

هذه هي الأحداث الثابتة في موضوع التحكيم والذي أذهب فائدته هو عدم اتفاقهما على خليفةٍ معيّن ، فكانت النتائج استمرار الوضع بدون اتفاق . وما عدا ذلك فروايات ضعيفة أو مكذوبة لا تقوم عليها الحقائق والنتائج وهي من أعداء الإسلام كزعمهم أن عمرو بن العاص خدع أبا موسى وأن أحدهما سبّ الآخر وشتمه وغير ذلك من التشويه[١٥٦].

---

[١٥٥] – (العواصم من القواصم / ١٧٨).

[١٥٦] – (الخلفاء الراشدون والدولة الأموية ٩٨/٩٧).

الخوارج وموقعة النهروان (٣٧هـ)

الخوارج هم الذين خرجوا من جيش عليٍّ وكانوا من شيعته الذين اشتركوا معه في معركة الجمل وموقعة صِفّين ، و لما قبل عليٌّ التحكيم تمردوا عليه ، وخرجوا عن طاعته ، ثم عاشوا مُفْسدين وأشاعوا الرعبَ والفَزَعَ في النفوس ، وكان مما فعله هؤلاء الخوارج أنهم لقوا عبدَالله بن خباب بن الأرتِّ رضي الله عنهما فسألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فأثنى عليهم ، فلم يعجبهم ذلك لأنه لا يتفق مع مبادئهم ، وحينئذ ذبحوه ذبح النعاج وبقَروا بطن امرأته وقتلوا نسوةً معه ، فأرسل إليهم عليٌّ رضي الله عنه رسولاً فقتلوه كذلك. فسار عليٌّ رضي الله عنه إليهم وهم في النهروان[١٥٧] ، وجادلهم وطلب منهم تسليم قَتَلَة عبدالله بن خباب، فقالوا : كُلنا قتله، وتمادوا في الردّ . ثم هجموا على جيشه وبدءوا بالقتال وكانوا يزيدون على أربعة آلاف، وعدد جيش عليٍّ حوالي سبعين ألفاً.

وأراد عليٌّ رضي الله عنه أن يُخرج منهم من لا يرغب في القتال فأمر بنصب راية، ثم قال: "من تقدم إلى هذه الراية فهو آمن ، ومن دخل الكوفة فهو آمن ، ومن رجع إلى المدائن فهو آمن " . فانصرف منهم ما يقرب من نصف الجيش . ووقف النصف الباقي وهم حوالي ٢٠٠٠ (ألفي مقاتل)، فكان لعليٍّ رضي الله عنه معهم موقف رهيب في يوم عصيب، و عُرف هذا اليوم في التاريخ بيوم النهروان . وفي هذا اليوم هُزم الخوارج هزيمةً قاضيةً لم تَبق منهم باقيةٌ وقد هلكوا جميعاً في ساعة واحدة .وهذه عاقبة الحماس المقرون

---

[١٥٧] – (موضع يقع جنوب شرق بغداد).

بالغـرور المجـرَّد عن العلـم و الفقـه و العقـل الـرزين . و لم يُقتل من أصحـاب علـيّ رضي الله عنه إلا سبعـة نفـر فقط .

و في قصة هؤلاء الخوارج آية عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال في ذي الخُـويصرة و هو أحد المنافقين كما رواه البخاري و مسلم "إن له أصحاباً يحقـر أحدُكم صلاتَـه مع صلاتهم و صيامَه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجـاوز تراقِيَهم ، يمرقون من الدين كما يمـرق السهم من الرمية ، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة و مثل البَضْعة تَـدَرْدَرُ ، و يخرجون على حين فُرْقَةٍ من الناس ، قال أبو سعيد : فاشهـد أني سمعت هـذا الحـديث من رسول الله صلى الله عليه و سلم و فأشهـد أن علـي بن أبي طالب قاتلهم و أنا معـه . فأمـر بـذلك الـرجـل فالتُمِس فأُتي به حـتى نظرت إليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الـذي نعـتـه . [١٥٨]

و الـذين خرجوا في ذلك اليوم من النهروان و كانوا من الخوارج ، زادت هذه الهـزيمـة الساحقـة غضبهم و كُـرههم لعليٍّ رضي الله عنه حتى دبّـروا لـه مكيدة قتلـه .

****

[١٥٨] - (البدايـة و النهايـة ٧ / ٢٨٨ . الخلفـاء الراشـدون و الدولة الأموية ص ٥٩/ ٢٠١ . و التاريـخ الإسـلامي ٣ / ٢٧٧) .

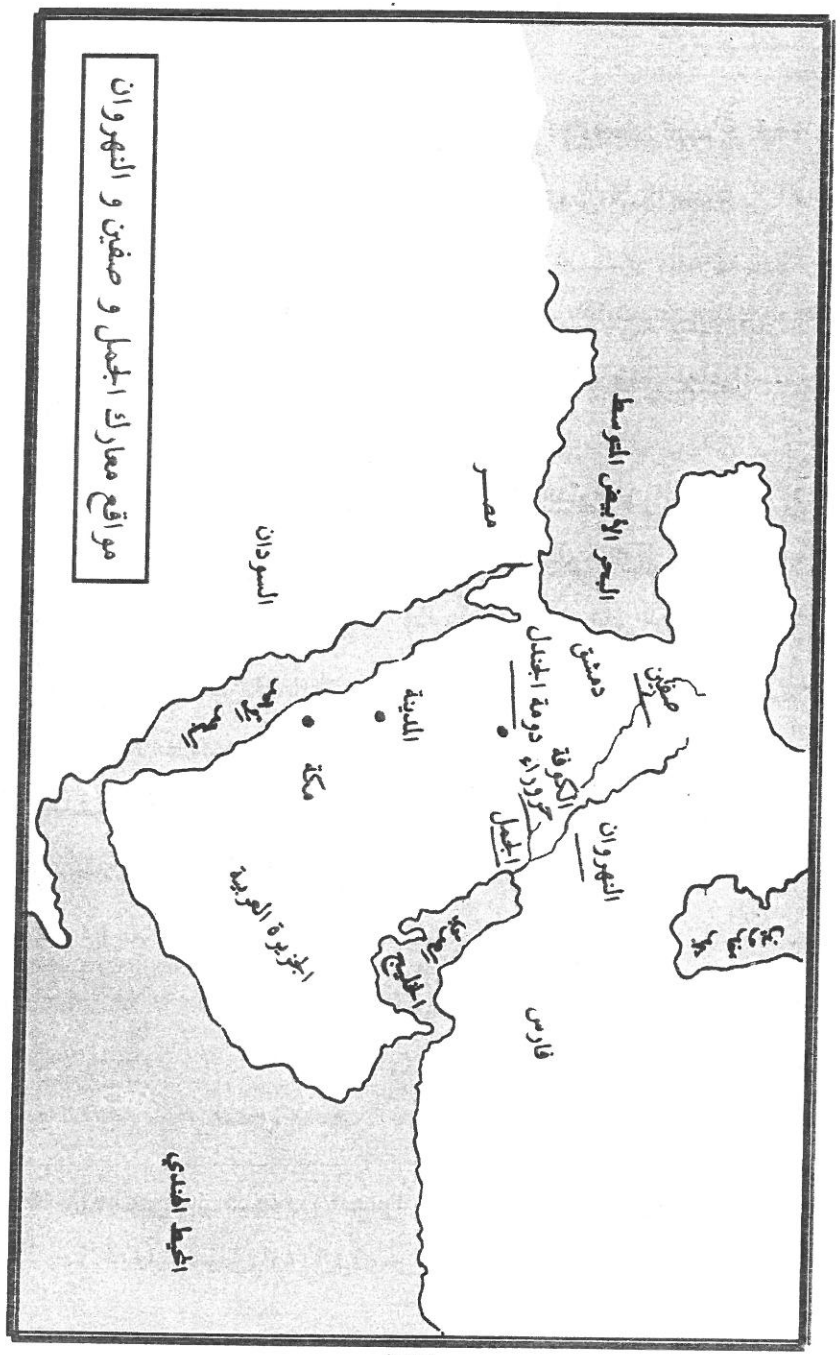

ثم كان هناك مفاوضات بين عليٍّ و معاويةَ رضي الله عنهما و لكنها فشلت ، و استولى معاوية على مصر و ولّى عليها عمرو بن العاص رضي الله عنه لأنه كان محبوباً فيها و هو فاتحها .

وأخيراً كتب معاوية إلى عليٍّ : "أما إذا شئت فلك العراق ولِيَ الشام وتكُفّ السيف عن هذه الأمة ولا تهريق دماء المسلمين" وبقي الواقع كما هو وإن لم يتفقا عليه.

انتهز قيصر الروم الحرب الأهلية الدائرة بين المسلمين فأراد تجهيز حملة للهجوم على المسلمين ، فعرف بذلك معاوية رضي الله عنه فكتب رسالة إلى قيصر جاء فيها " إذا عقدت العزم على أن تحقق إرادتك فإنني أقسم أنني أتصالح مع صاحبي (عليّ رضي الله عنه) ثم ليسيرنَّك إليك جيشاً سأكون أولَ كتيبة منه و لأخرجنك من جميع بلادك و لأضيقن عليك الأرض بما رحبت و أجعلنَّ من القسطنطينية شعلة نار " عند ذلك خاف ملك الروم و انكفّ و بعث يطلب الهُدنة . [160]

[159] – (الخلفاء الراشدون و الدولة الأموية / ٩٨) .

[160] – (البداية و النهاية ٨ / ١١٩ – المرتضى / ١١٤) .

يقول العلاّمة ابن كثير :

(كان أميرُ المؤمنين رضي الله عنه قد تنغّصت عليه الأمور و اضطرب عليه جيشُه ، و خالفه أهلُ العراق ، و نكَلوا عن القيام معه ، و استفحل أمر أهل الشام ، و صالوا و جالوا يميناً و شمالاً .

هذا وأمير أهل العراق عليٌّ بن أبي طالب خيرُ أهل الأرض في ذلك الزمان، أعبدُهم وأزهدُهم وأعلمُهم وأخشاهم لله عزّ وجلّ، ومع هذا كله خذلوه وتخلّوا عنه حتى كره معاشرتهم وتمنّى فراقهم، وكان يقول : "والله لتُخْضَبَنَّ هذه ، ويشير إلى لحيته ، من هذه ويشير إلى هامته"[161] وقد كان ذلك.

و كان من خبره أن ثلاثةً من الخوارج و هم : عبد الرحمن بن عمرو المرادي المعروف بابن ملجم الحميري ثم الكندي ، و البُرَك بن عبد الله التميمي ، و عَمرو بن بكر التّميمي اجتمعوا فتذاكروا قَتْلَ عليٍّ إخوانَهم من أهل النهروان ، فترحَّموا عليهم و قالوا : لو شَرَيْنَا أنفسنا فأتينا أئِمَّةَ الضلال فقتلناهم فأَرَحْنَا منهم البلاد و أخذنا منهم ثأر إخواننا . فقال ابن ملجم : أمّا أنا فأكفيكم عليَّ بن أبي طالب ، و قال البُرَك : و أنا أكفيكم معاويةَ ، و قال عمرو بن بكر : و أنا أكفيكم عمروَ ابن العاص . فتعاهدوا و تواثقوا أن لا ينكث رجل منهم عن صاحبه

[161] – (البداية و النهاية ٧ / ٣٢٤ باختصار) .

حتى يقتله أو يموت دونه . فأخذوا أسيافهم فسمّوا و اتّعدوا لسبع عشرة من رمضان أن يبيت كل واحد منهم في بلده الذي هو فيه .

فأما ابن ملجم فسار إلى الكوفة فدخلها و كتم أمره حتى عن أصحابه من الخوارج ، فلما كانت ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خَلَتْ من رمضان جلس مقابل السُدّة التي يخرج منها عليٌّ ، فلما خرج جعل ــ كعادته ــ ينهض الناس من النوم إلى الصلاة ، و يقول : الصلاة الصلاة ، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه [١٦٢] قائلاً : لا حكم إلاّ لله ، ليس لك يا عليّ و لا لأصحابك ، و سال الدم على لحيته رضي الله عنه و نادى : عليكم به . و مُسك ابن ملجم ، و قَدَّمَ عليٌّ جعدةَ بن هبيرة بن أبي وهب ، فصلى بالناس صلاة الفجر ، و حُمِل رضي الله عنه إلى منزله ، و قال : " إن مُتُّ فاقتلوه ، و إن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به " . [١٦٣]

ثم أوصى الحسن و الحسين و في آخرها .

" يا بني عبد المطلب : لا تخوضوا دماء المسلمين خوضاً ، تقولون : قُتل أمير المؤمنين ، ألاَ لا يُقتلنّ بي إلا قاتلي ، انظروا إذا أنا مُتُّ مِن ضربته هذه فاضربوه ضربة ، و لا تَمْثُلُوا به ، فإني سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إياكم و المُثْلَة و لو بالكلب العقور " [١٦٤]

---

١٦٢ - (القرن : مقدم الرأس) .

١٦٣ - (البداية و النهاية ٧ / ٣٢٨) .

١٦٤ - (الرياض النضرة في مناقب العشرة ٣ / ٣٣٨) .

قال جندب بن عبد الله : يا أمير المؤمنين إن فقدناك ــ و لا نفقدك ــ أ نبايع الحسن ؟ قال : لا آمركم و لا أنهاكم ، أنتم أبصر . و هذا دليل واضح أن عليّاً رضي الله عنه لم يكن يرى أن الخلافة محصورة فيه و في أولاده كما تدّعي الرافضة [١٦٥]

و لما احتُضِرَ عليٌّ جعل يُكثر من قول لا إله إلا الله ، لا يتلفظ بغيرها ، حتى لقي الله ، فرضي الله عنه و أرضاه . [١٦٦]

كانت مدة خلافته أربع سنوات و تسعة أشهر إلا أسبوعاً (من ٣٥/١٢/٢٤ هـ إلى ٤٠/٩/١٧ هـ) .

غسله الحسن و الحسين و عبد الله بن جعفر و صلّى عليه ابنه الحسن ثم دُفِن بدار الإمارة في الكوفة . أما ابن ملجم فقد تولّى قتله الحسن ثم أحرقت جثته بالنار . [١٦٧]

و أما البُرَك التميمي فإنه قصد إلى معاوية رضي الله عنه في تلك الليلة فضربه ضربة في إليته فنجا بعد مداواة ، واتخذ بعدها المقصورة ، و أما عمرو بن العاص فلم يخرج يومَها للصلاة لمرض أصابه و أناب عنه صاحب الشرطة خارجةَ بن حُذافة فقتله الخارجي و هو يعتقد أنه عمرو ، فلما أخذوه و أدخلوه على عمرو عجب و قال : فمَنْ قتلتُ إذن ؟ قالوا : خارجةَ ، فقال لعمرو بنِ العاص و الله ما ظننته

---

١٦٥ - (الخلفاء الراشدون و الدولة الأموية / ١٠٢) .

١٦٦ - (البداية و النهاية ٧ / ٣٢٨) .

١٦٧ - (تاريخ الطبري ٥/١٣٣ و البداية والنهاية ٧ / ٣٨٥) .

غـيرك . فقـال لـه عمـرو : أردتَ عمـراً و أراد الله خارجـة ، فذهب مثلاً و أمر بقتلـه . [١٦٨]

و اتجـه الناس إلى الحسن بن علـيٍّ رضـي الله عنهما و بايعوه بالخـلافـة في اليوم الـذي مات فيه عليٌّ رضي الله عنه و هو يوم الجمعة ١٧/رمضان عـام ٤٠ هـ . [١٦٩]

و بقي الحسن في الخلافـة ستة أشهر ، رأى خلالهـا تخاذلَ أصحابه ، و ضـرورةَ اتفاق الأمـة . و رأى معاويةُ رضي الله عنه مثلَـه ، فأرسل عبدَ الرحمن بن سَمُـرة و عبدَ الله بن عامر بن كـريـز رضـي الله عنهما إلى الحسن رضي الله عنه ليحاولا الإصـلاح معـه و اجتهـد الرجـلان و أراد الله بالحسن رضـي الله عنه الخـير فـوافقـهما علـى الصلـح و تنـازل عن الخـلافـة لمعاويـةَ رضـي الله عنه لقطـع دابـر الفتنة و جمـع شمـل المسلمـين و ذلك في ٤١/٣/٢٥هـ ثم دخـل معاويـة الكوفة فبايعه أهلها ، و انتقل الحسن و الحسين إلى المدينة المنورة .

و هكـذا انتهت الفتنة و أصلح الله بين المسلمين بالحسن رضي الله عنه لدينـه و عقلـه و تقـواه و تحقـق فيه قول النبي صلى الله عليه و سلم فيما رواه البخـاري " إن ابني هـذا سيد ، و لعـل الله أن يصلح بـه بـين فئتـين عظيمتـين من المسلمـين " . و يـدلُّ هـذا الحـديث

---

[١٦٨] – (التاريخ الإسلامي ٣ / ٢٨٢ و ما بعـده ، الخلفاء الراشـدون و الدولـة الأمويـة / ١٠١ و ما بعـده) .

[١٦٩] – (البدايـة و النهايـة ٨ / ١٤) .

على أن خلافـة أمـير المؤمنـين معـاويـة رضي الله عنه كانت إصلاحاً بين المسلمـين و الصلح خـير ، و هـذا يبطل طعن الشيعـة فيه .

المجتمع الإسلامي في العهد الراشدي

استمر الوضع الاجتماعـي في هـذا العهد – مع وجـود مشاجـرات و فـتن بل و حـروب كانت على صعيد الحكـم و القيادة و على مستوى الأمـراء و الحـكام و جيوشـهم – استمر على الخـير و الـبرّ و التقـوى .

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي ر مـه الله في كتابه " المرتضـى " :

أمَّا المجتمـع الإسـلامي الممتد من أرض الوحـي و الرسالة إلى أقصى ما وصلت إليه الفتوح الإسلامية ، فقد كان مجتمعاً متمسكاً بالدين ، محافظاً على الفرائض و الواجبات ، راغباً في العمل بالسنّـة و ما ثبت من القرآن و الحديث ، مُجِـلاً لأهل الـدين و حَمَلَة العلم من المحـدثين و الفقهاء و رجال الفتيا ، و لا تـزال الشعائـر الإسـلامية مـرفوعـة ، و الجمعة و الجماعات تُقام ، و الحـج لم يحـدث أقل تغيّر في مواقيتـه و مناسكـه و أركانه ، يُؤدّى تحت إمارة أمير ينصّبه الخليفة و صاحب الأمر ، و الجهاد قائم على قـدم و سـاق ، و القرآن يحفظ و يُتْلـى ، و ترقّ لـه القلوب و تذرف له العيون ، و لم يحدث أيّ تحريف في الدين أو الأحكام الشرعية .

و كان هذا المجتمع الإسلامي – على عِـلاّتـه – أفضل بالإطلاق من كل مجتمـع معاصـر – مسيحي أو مجوسي أو برهمي – في الخشوع لله

و الحسبان للآخـرة و لِما بعـد الموت ، و الكفّ عن الفواحش الظاهرة و مظاهر الفجـور ، و عبادة المادّة و التقدير الزائد للثروة ، و وزن الأشياء بميزان النفع و اللذّة فحسب ، و ذلك كلـه بفضل وجود الكتاب الـذي لم يقبل تحريفاً أو ضياعاً ، و بفضل ما كان يُروى و يُردَّد من أخبار الأسـرة النبوية ، و سـير الصحابـة و أخبار الخلفاء الراشـدين ، و الشهـداء و المجاهـدين ، و وجود الدُّعـاة إلى الله و الآمرين بالمعـروف و الناهـين عن المنكـر ، و وجود الزُهّـاد و المتورّعـين ، و كان الـدين لا يزال له السلطان الروحـي و المكانة الأولى في قلوب الناس . هـذا كله ، لأن الله قد تكفّلَ بحفظ هذا الدين و بقاء هـذه الأمة الـداعية إلى الله إلى أن تقوم القيامة ، { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الـذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ } [170] ، { وَ كَـذَالِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّـةً وَسَطاً لِتَكُـوْنُوا شُهَـدَاءَ عَلَـى النَّاسِ وَ يَكُـوْنَ الرَّسُوْلُ عَلَيْكُـمْ شَهِيْداً } [171] ، و لأنـه لا بديـل لهمـا .

و لأن المسلمين كانوا لا يزالون يمـلأون الفراغ في الدعوة إلى الله و الجهاد في سبيل الله ، و لكـونهم أفضل من غيرهم في العقيدة و العمل ، لم يمكّن الله تعالى عدوّهم الذي كان بالمرصاد ـ و هي السلطة المسيحية التي كان مركـزها القسطنطينية و قـارة أوروبا المسيحيـة ـ أن ينتهـز فرصة تشاغل المسلمين بعضهم ببعض ، و الصراع السياسي في صفوفهم ، فتستردّ البلاد التي كانت لا تـزال تحكمها من قرون ـ كالشام و مصـر

[170] – (سورة الحجر / ٩) .

[171] – (سورة البقرة / ٤٣) .

و بعض بـلاد إفـريقيـا الشمالية ـ و تستعيد اعتبارهـا السياسـي و العسكـري . [172]

يتحـدّث المؤرخ ابن جـريـر الطـبري عن حـوادث سنة ٣٥ من الهجـرة ، فيقول :

(و في هذه السنة قصد قسطنطين بن هرقل بلاد المسلمين في ألف مركب ، فأرسل الله عليه قاصفاً من الريح فغرّقـه الله بحولـه و قوتـه ، ومَن معه ، و لم ينجُ منهم أحد إلا الملك في شرذمة قليلة من قومه ، فلما دخـل صقلية عملوا له حماماً فدخله فقتلوه فيه ، و قالوا : أنت قتلت رجالنا) [173] .

****

[172] – (المـرتضـى ١ / ١٩٢) .

[173] – (البداية و النهاية ٧ / ٢٢٩) .

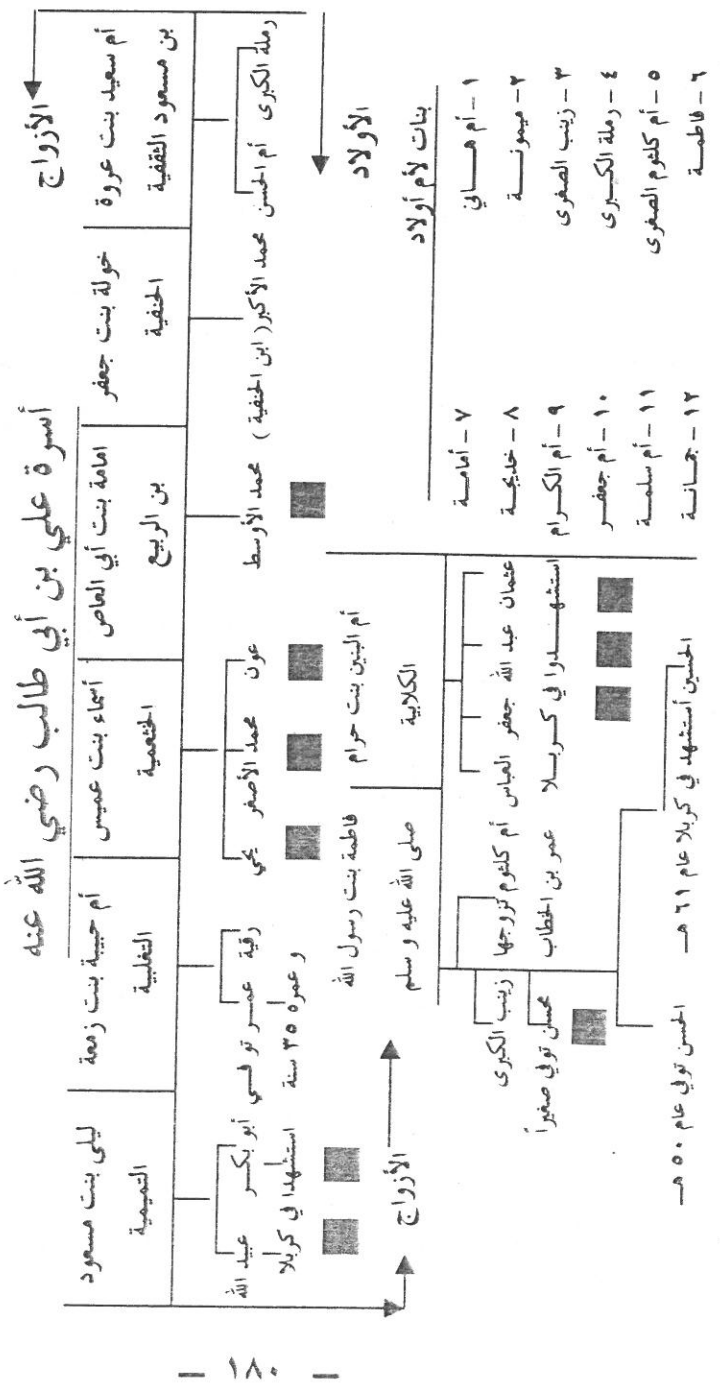

أقول في آخر الكتاب : ما قلتُ في أوّله أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين كلهم عدول و ثقاة و مؤمنون صالحون ، يروي الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : " من كان متأسّياً فليتأسّ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنّهم أبرّ هذه الأمة قلوباً و أعمقها علماً و أقلها تكلفاً و أقومها هدياً و أحسنها حالاً ، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيّه و إقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم و اتبعوا آثارهم فإنّهم كانوا على الهدى المستقيم . [١٧٤]

و روى الترمذي عن عبد الله بن مغفّلٍ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي فمن أحبّهم فبحبي أحبهم و من أبغضهم فببغضي أبغضهم و من آذاهم فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله ، و من آذى الله فيوشك أن يأخذه " . [١٧٥]

و قال الإمام أحمد في رسالة له ، نقلاً عن رواية الإصطخري : " لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم و لا أن يطعن على أحد منهم بعيبٍ و لا نقصٍ فمن فعل ذلك وجب تأديبه ، و قال الميموني : سمعت أحمد يقول : ما لهم و لمعاوية نسأل الله العافية ، و قال لي يا أبا الحسن : إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم بسوء فاتهمه على الإسلام . [١٧٦]

---

١٧٤ – (مقام الصحابة و علم التاريخ للمفتي محمد شفيع / ٦٢) .

١٧٥ – (جمع الفوائد ٢ / ٤٩١) .

١٧٦ – (مقام الصحابة / ٧٥ نقلاً عن الصارم المسلول لابن تيمية) .

و خلاصة القول أنه لا يجوز التفسيق و التضليل في حق من حاربوا الأمير (أيّ عليّاً رضي الله عنه) ذكر القاضي عياض في " الشفاء " أن مالكاً ــ رحمه الله ــ قال : من شتم أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص رضي الله عنهم ، فإن قال : كانوا على ضلال أو كفر قُتِلَ ، و إن شتم بغير هذا من مشاعة الناس نُكّلَ نكالاً شديداً ، فلا يكون محاربو عليٍّ كفرة كما زعمت الغلاة من الرافضة و لا فسقة كما زعم البعض " [177] و حسبك حديث الرسول صلى الله عليه و سلم في سب الصحابة أنه قال : من سبّ أصحابي فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين . [178]

و أختم هذا الباب على دعاء في كتاب الله العزيز " رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِيْنَ سَبَقُوْنَا بِالإِيْمَانِ وَ لاَ تَجْعَلْ فِيْ قُلُوْبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِيْنَ آمَنُوْا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوْفٌ رَّحِيْمٌ . اَللّهُمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقّاً وَ ارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَ أَرِنَا البَاطِلَ بَاطِلاً وَّ ارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ ، و صلى الله و سلم على عبده خير خلقه نبينا محمد و على آله و صحبه خيار الخلائق بعد الأنبياء ، و نسأل الله أن يرزقنا حبهم و يعيذنا من الوقوع في شيء يشينهم و أن يحشرنا في زمرتهم آمين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

[177] ــ (مقام الصحابة / ٧٩) .

[178] ــ (حسّنه محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث / ٢٣٤٠ ، المجلد الخامس) .

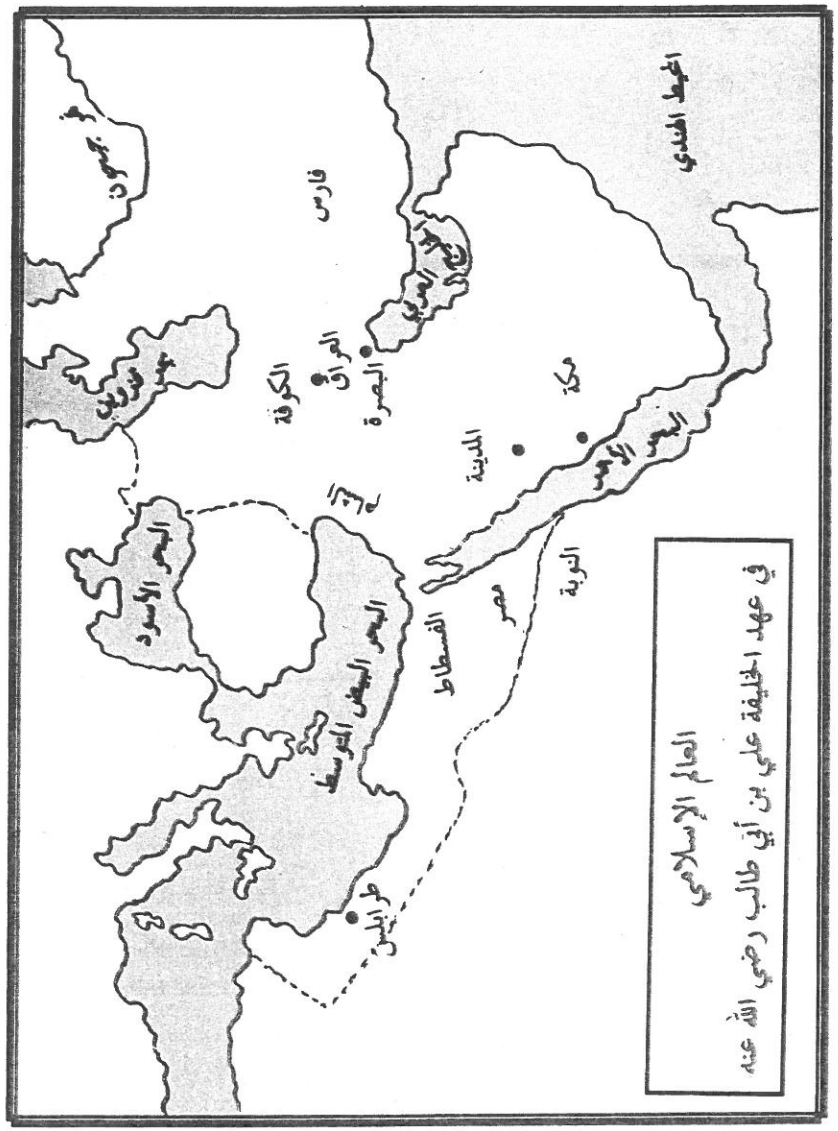

الفهارس

١ ـ فهرس موضوعات الكتاب

٢ ـ فهرس المراجع و المصادر

فهرس موضوعات الكتاب

تقديم الكتاب ٣
التقريظ ٧
كلمة المؤلّف ٩
مكانة الصحابة في الإسلام ١٣
العهد الراشدي ١٦
أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ولادته ، نشأته و فضله ٢٠
أسرة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٢١
إسلامه رضي الله عنه ٢١
حياته في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة ٢٢
هجرته إلى المدينة ٢٣
حياته في العهد النبوي بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ٢٣
بيعة الخلافة في سقيفة بني ساعدة ٢٥
بيعة الخلافة العامة ٢٧
الأعمال الجليلة في العهد الصديقي ٢٨
إرسال جيش أسامة بن زيد ٢٨
القضاء على المرتدين ٣٢
الصورة الثانية للارتداد ٣٣
الأسود العنسي ٣٤
مسيلمة الكذاب ٣٤

سجاح بنت الحارث ٣٥
طليحة بن خويلد الأسدي ٣٥
إرسال أحد عشر لواء للجهاد ٣٧
جمع القرآن الكريم ٤١
جهاد الأعداء من الفرس و الروم ٤٢
فتوح العراق ٤٣
فتوح الشام ٤٦
مكاتبات بين الخليفة و القواد المسلمين ٤٨
مسير خالد إلى الشام ٤٩
معركة أجنادين عام ١٣هـ ٥٣
مرض أبي بكر و استخلافه عمر ٥٦
وفاة أبي بكر رضي الله عنه ٥٩
عمر الفاروق رضي الله عنه ، ولادته ، نشأته و فضله ٦٣
إسلامه رضي الله عنه ٦٣
هجرته إلى المدينة ٦٥
حياته في العهد النبوي ٦٦
حياته في العهد الصديقي ٦٨
الأعمال الجليلة في العهد الفاروقي ٦٩
تكميل فتح العراق ٧٠
معركة النمارق ٧٠
معركة الجسر ٧١

معركة القادسية عام ١٤ هـ ٧١
فتح المدائن عام ١٦ هـ ٧٧
فتح فارس موقعة نهاوند " فتح الفتوح " سنة ٢١ هـ ٨٠
أثر الفتح الإسلامي في بلاد الفرس ٨٣
تكميل فتح الشام ، فتح دمشق (رجب عام ١٤ هـ) ٨٣
عزل خالد بن الوليد عن القيادة العامة ٨٧
معركة اليرموك (عام ١٥ هـ الموافق ٦٣٦ م) ٨٩
فتح بيت المقدس (رجب ١٦ هـ الموافق ٦٣٨م) ٩٥
الصلح مع نصاري بيت المقدس ٩٦
فتح بقية مدن الشام ٩٩
فتح مصر و طرابلس الغرب (٢٠/١٩ هـ) عمرو بن العاص يتوجه إلى مصر ١٠١
فتح حصن باب اليون ١٠٢
فتح الإسكندرية ١٠٣
فتح بقية مدن مصر ١٠٤
تمصير المدن ١٠٦
البصرة ١٠٦
الكوفة ١٠٦
الفسطاط ١٠٧
نشر التعليم الإسلامي ١٠٧
تحديد التاريخ الإسلامي ١٠٧
تنظيم الإدارة العامة ١٠٨

الأولبات ١٠٩
استشهاد الفاروق رضي الله عنه ١١١
أسرة سيدنا عمر بن الخطاب رصي الله عنه ١١٤
عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولادته ، نشأته و فضله ١١٨
حياته في العهد النبوي ١١٨
حياته في العهد الصديقي ١٢٠
حياته في العهد الفاروقي ١٢١
البيعة لعثمان بالخلافة ١٢٢
الأعمال الجليلة في العهد العثماني ١٢٥
اتساع الفتوح ١٢٥
تأسيس الأسطول الإسلامي و فتح قبرص ١٢٨
معركة ذات الصواري عام ٣٤ هـ ١٢٩
جمع المسلمين في قراءة القرآن على حرف قريش ١٣٣
زيادة الأذان الثاني قبل أذان الخطبة يوم الجمعة ١٣٤
فتنة عبد الله بن سبأ اليهودي ١٣٥
الفتنة تبلغ ذروتها ١٣٨
استشهاده رضي الله عنه ١٤٠
أسرة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ١٤٤
علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولادته ، و نشأته و فضله ١٤٨
الهجرة ١٤٩
حياته في العهد النبوي ١٥٠

حياته في العهد الصديقي ١٥١
حياته في العهد الفاروقي ١٥٣
حياته في العهد العثماني ١٥٤
عليٌّ أمير المؤمنين ١٥٥
موقف عليّ بعد البيعة ١٥٨
معركة الجمل ١٥٩
توقير عليّ لعائشة ١٦٤
وقعة صفين ١٦٥
اجتماع الحكمين ١٦٧
الخوارج و موقعة النهروان (٣٧ هـ) ١٦٨
بين عليّ و معاوية ١٧٢
الاستشهاد ١٧٣
المجتمع الإسلامي في العهد الراشدي ١٧٧
أسرة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٨٠
الفهارس ١٨٤

****

فهرس المراجع و المصادر

****

(١) - القرآن الكريم .
(٢) - صحيح البخاري ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردذبه البخاري الجعفي .
(٣) - صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري
(٤) - سنن أبي داؤود ، للإمام الحافظ أبي داؤود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي .
(٥) - سنن الترمذي ، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة .
(٦) - فتح الباري ، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني .
(٧) - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، للشيخ محمد الخضري .
(٨) - السيرة النبوية ، لمحمد أبو شهبة .
(٩) - السيرة النبوية ، لابن هشام .
(١٠) - الرحيق المختوم ، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري .
(١١) - الجوهرة في نسب النبي و أصحابه العشرة ، محمد بن أبي بكر بن عبد الله
(١٢) - فقه السيرة النبوية ، للدكتور سعيد رمضان البوطي .
(١٣) - الرياض النضرة في مناقب العشرة ،
(١٤) - مقام الصحابة و علم التاريخ ، للمفتي محمد شفيع .
(١٥) - حياة الصحابة ، محمد يوسف الكاندهلوي

(١٦) - المرتضى ، للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي .
(١٧) - جمع الفوائد ، محمد بن سليمان المغربي .
(١٨) - زاد المعاد ، لابن قيم الجوزية .
(١٩) - الكامل ، لابن الأثير .
(٢٠) - العواصم من القواصم ، بتحقيق محب الدين الخطيب .
(٢١) - العبقريات الإسلامية ، عباس محمود العقاد .
(٢٢) - تاريخ الخلفاء ، للسيوطي .
(٢٣) - فتوح الشام ، للأزدي .
(٢٤) - التاريخ الإسلامي ، لمحمود شاكر .
(٢٥) - تاريخ الإسلام ، دكتور / حسن إبراهيم حسن .
(٢٦) - التاريخ الإسلامي مواقف و عبر ، د. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي
(٢٧) - تاريخ الطبري/ تاريخ الأمم و الملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
(٢٨) - محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، للشيخ محمد الخضري بك .
(٢٩) - تاريخ دمشق ،
(٣٠) - البداية و النهاية ، للحافظ ابن كثير الدمشقي .
(٣١) - الخلفاء الراشدون و الدولة الأموية (من مقررات المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .
(٣٢) - الفاروق ، للعلامة شبلي النعماني .

****